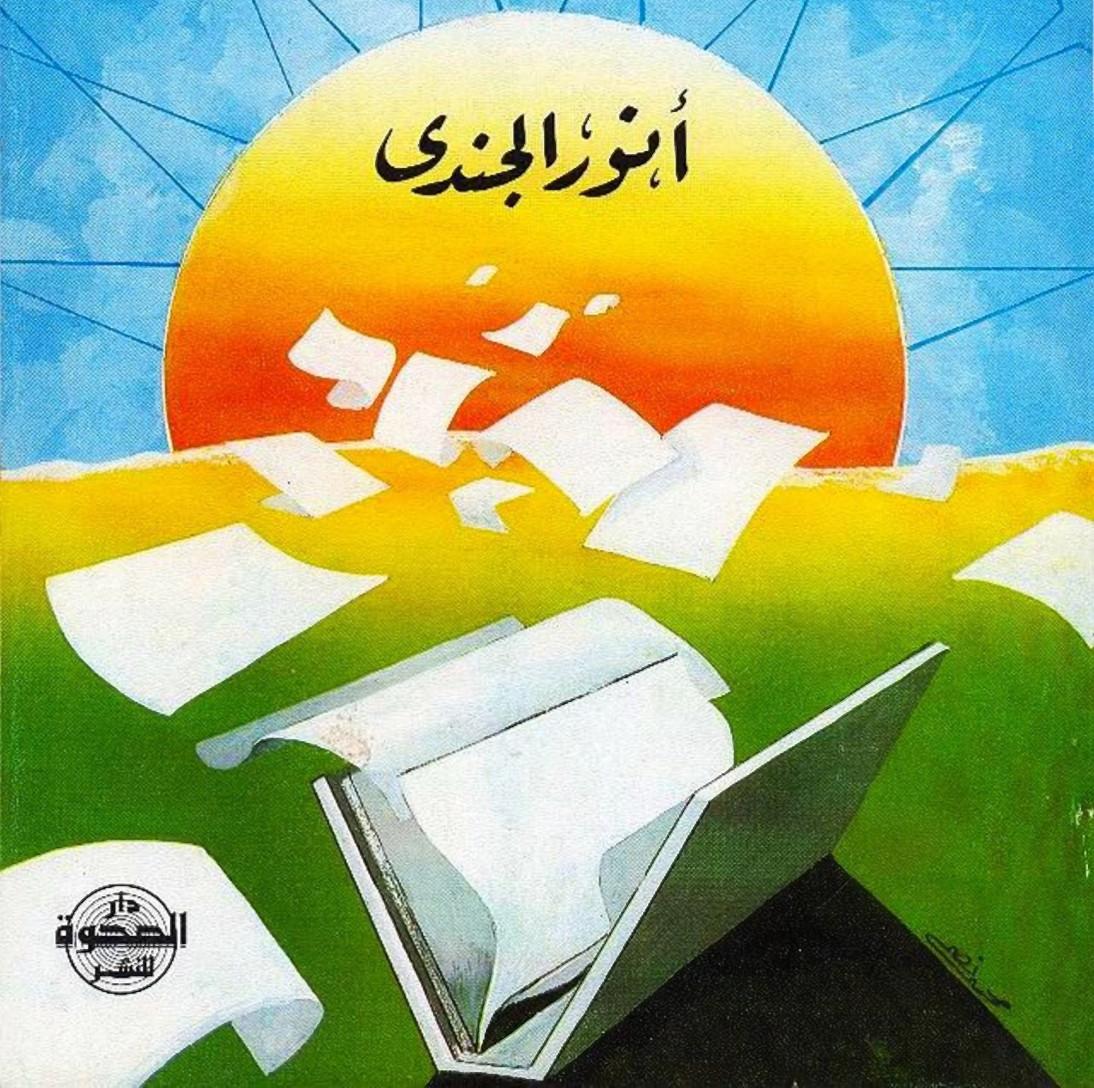


# حَقَائِقُ الْمُضِيَّةِ فِي وِجْهِ شَبَهَاتٍ مُشَارَةٍ

أَنْوَرُ الْجَنْدِي



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤١٠ - ١٩٨٩ م

حقوق الطبع محفوظة

دار الصحوة للنشر والتوزيع - القاهرة

ت : ٩٨٧٩٢٤ شارع السرای بالمنيل  
ت : ٦٨٨٠٧١ حدائق حلوان - مدينة الهدى

## ١ - الإسلام: ذاتية متميزة

الإسلام: منهج وليس نظرية: منهج متكامل يستهدف تحقيق إقامة المجتمع الإنساني الرباني المصدر. وما يزال ارتباط الإسلام بمنابعه الأصلية من القرآن والسنّة ونحوه المؤثّر هو العامل الأول والأكبر الذي يحول دون التحرّيف والذي يعطيه القدرة على استعادة تشكيل نفسه بعد الأزمات وفي مواجهة التحدّيات.

ومن هنا فإن المنهج الحبيبة القائمة على الفكر المادي تعجز عن استيعاب حقيقة أبعاده، وإن علم الأديان المقارن لا يستطيع أن يعالج الإسلام كبقية الأديان الرضيعية: لأنّه من صنع البشر، وهو فوق أهواء المذاهب والنظريات والفلسفات. فهو يستمد أصلّته من مصدره الرباني أولاً ويتجاوب في نفس الوقت مع الفطرة والعقل والعلم ولا يتعارض مع الطبيعة البشرية.

\* \* \*

ويتفق مختلف الثقافات والعقائد على أسماء القيم الإنسانية ولكنها تختلف في تفسيرها، فالحرية والعدل والأخلاق والمعرفة والسلام وال الحرب، كل هذه المفاهيم تجد لها في كل فكر مفهوماً متّيناً، وتميز نظرة الإسلام لهذه القيم بأنّها نظرة جامعة، قائمة على اعتبار أن الإنسان روح وجسد، وعلى أساس جامع بين العقل والقلب، والدنيا والآخرة، والدين والعلم.

وكذلك بني الإسلام شخصية جديدة تختلف عن الشخصية التي كانت تعيش في العالم من خلال مفاهيم الفلسفات القيصرية والوثنية وأنشأ الأمة المختارة بالتوحيد والإيمان.

وإن أبرز مظاهر أصالة الإسلام إنما تتمثل في أنه يرفض كل عنصر غريب عليه، ومن هنا تخطئ النظريّة التي تقول بتطوير الإسلام أو تلقيح الإسلام ..

فإِلَّا سُلْطَانٌ ذَاتٌ مُمْتَازَةٌ لَهَا مِنْ عَوَالِمِ الشَّبَابِ مَا يَكْفِلُ لَهَا إِسْتِمْرَارُ الْعَطَاءِ عَلَى  
مَدِيِّ الْعَصُورِ وَالْبَيْنَاتِ مَعَ سَمَاحَةِ التَّغْيِيرِ فِي الْفَرْوَعِ ..

وَلِهِ ذَاتِيَّةٌ ذَاتٌ لِطَابِعِ الْخَاصِّ الَّذِي يُسْتَطِعُ اِمْتَصَاصُ كُلِّ مَا يَزِيدُهُ قُوَّةً، بَوْنَ  
أَنْ يَخْرُجَ عَنْ أَصْسَالِهِ.

\* \* \*

عِقِيدةُ الإِسْلَامِ تَمْتَازُ عَنِ الْعَقَائِدِ الْمُخْتَلِفَةِ أَنَّهَا تَجْمِعُ بَيْنَ نُورِ الْعُقْلِ وَأَشْوَاقِ  
الْقَلْبِ. فَهِيَ عِقِيدةٌ تَخَاطِبُ الْعُقْلَ بِالْدَلِيلِ وَالْبَرْهَانِ وَتَخَاطِبُ الْقَلْبَ بِالْوَجْدَانِ  
وَالْإِيمَانِ، وَهِيَ إِلَى ذَلِكَ كُلَّ لَا يَتَجَزَّأُ: لَأَنَّ الْعُقْلَ وَالْقَلْبَ لَيْسَا إِلَّا جَهَازًا وَاحِدًا.

\* \* \*

إِنَّ القُولَ بِأَنَّ كُلَّ دِينٍ قَابِلٌ لِلتَّطْوِيرِ وَمَلَانِمَةِ الْعَصُورِ فَكَرَّةٌ عَلَمَانِيَّةٌ مُصْدِرُهَا  
الْدِينُ الْبَشَرِيُّ الَّذِي صَنَعَهُ الْإِنْسَانُ وَالَّذِي يَعْجِزُ عَنِ الْعَطَاءِ لِتَغْيِيرِ الزَّمْنِ وَالْبَيْتَةِ.

أَمَّا إِلَّا سُلْطَانٌ ذَاتٌ مُمْتَازَةٌ لَهَا مِنْ النَّفْعَيْةِ وَالرَّهْبَانِيَّةِ فِي الشَّرِيعَةِ لَا تَقْبِلُ  
التَّطْوِيرُ، كَادَاءُ الْأَمَانَاتِ وَالْحَقُوقِ إِلَى أَصْحَابِهَا وَالتَّزَامُ الْعَدْلَةِ فِي الْقَضَاءِ  
وَالْشَّهَادَةِ، وَالتَّرَاضِيُّ فِي الْعُقُودِ وَقَمْعُ الْإِجْرَامِ وَسَدُ الذَّرَانِ، وَالْمَسْئُولِيَّةِ  
الشَّخْصِيَّةِ.

\* \* \*

لَا يُحَقِّرُ إِلَّا سُلْطَانٌ ذَاتٌ مُمْتَازَةٌ لَهَا بَعِيدًا عَنِ النَّفْعَيْةِ وَالرَّهْبَانِيَّةِ  
وَهُوَ نَظَامٌ دِينِيُّ أَخْرَوِيٍّ، فِي أَنَّ وَاحِدًا، لَا يَنْفَصِلُ فِيهِ الدِّينُ عَنِ الدُّنْيَا وَلَا الْمَجَمِعُ  
عَنِ الشَّرِيعَةِ وَقَدْ حَلَّ إِلَّا سُلْطَانٌ ذَاتٌ مُمْتَازَةٌ لَهَا بَعِيدًا عَنِ النَّفْعَيْةِ وَالرَّهْبَانِيَّةِ  
الْأَوَّلِيَّةِ: الْأَخْوَةُ وَالْعَدْلُ الْاجْتَمَاعِيُّ ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ) فَهَذِهِ أَجْمَلُ مِبَادَىءِ  
الْعَدْلِ الْاجْتَمَاعِيِّ. وَالثَّانِيَةُ فِرْضُ الزَّكَاةِ عَلَى كُلِّ ذِي مَالٍ وَخَوْلٍ لِلْفَقَرَاءِ أَخْذُهَا  
كَحْقَ لَهُمْ وَلَيْسَ كَمِدْقَةً.

وبنى القرآن التوازن في كيان الإنسان بالجمع بين العقل والروح وشدد بالنهاي عن إفساد الفطرة بال تعاليم الصراوة ونبه النفوس إلى ضرر التقليد الأعمى للأباء والقادة وأمر بتقديم الدليل المقنع على كل عقيدة يتقى بها داع لنحلة.

\* \* \*

ومنذ ظهر الإسلام وكل حدث في العالم قد ارتبط به على نحو من الأتجاه .. وقد أثبت الإسلام صلابته واستقلاليته وقدرتها على البقاء .. فإنه في كل أزمة دخلها استطاع أن يخرج منها قوياً متصراً، لم يسقط ولم ينهار ولم تنسد مقوماته وظل محظوظاً بتميزه الخاص في مواجهة الغزو ..

والإسلام لل المسلمين عقيدة وثقافة ولغير المسلمين نظام اجتماعي .. فهو ليس عقيدة أخرى فحسب، ولا أخلاق مجردة.

وقد عني الإسلام بوضع تعاليمه السياسية والاقتصادية والأخلاقية في صيغة كلية مرنة وأصول عامة، ثم أطلق لكل مجتمع حرية البناء عليها والتفسير والتعرية منها في ضوء تطورات العصر واختلافات البيئة.

والفارق بين الإسلام والأديان الأخرى أن الإسلام هو الذي صنع المجتمع الإسلامي .. بينما صنعت المجتمعات الأخرى أنظمتها.

وقيم الإسلام تتساند وتنتفاع في تنظيم المجتمع فلا يصح تجزئتها أو تفتيتها أو الأخذ بفرع منها دون الآخر، فإن كل فرع منها يؤثر في الآخر ويتأثر به، فبغير التعاليم الأخلاقية يختل النظام الاقتصادي فيما يدعو إليه من تعاون وتكامل.

وهذا فارق عميق بين عالم الإسلام وعالم الغرب الذي يفصل بين القيم.

\* \* \*

والإسلام لم يأت من العبادات إلا ما يفيد الشخص في روحه وجسده .. ولم يغص حق الجسد ولم ينكر مقتضيات المادة بل اعترف بعيول الإنسان وعواطفه

ونظمها له .. ولم يحجر الإسلام على العقل بل جعل له الحكم في الأمور، ولم يبطل حرية البحث بل أطلقها، وجعل السلطان للحجـة والبرهـان .  
وأليس في الإسلام سر ولا تناقض، ولا ما يصادم العقل أو الفطرة أو الذوق .  
وقدر الإسلام أن للوجود الإنساني سنـناً لا تتبدل ولا تحـول ولا تزال عاملـة على مقتضـى نظامـها المـقدر لها .

والإسلام لا يعارض التقدم بل يدفع إليه دفعـاً .. فقد دعا إلى النظر في ملكـت السـموات ودعا إلى العلم .. وحمل على الجـهل والخـرافـة والـكـهـانـة والـسـحـر ووضـع قـانـون « لا إـكـرـاء فـي الدـين » وكـفـل لـغـيرـ الـمـسـلـمـين حرـيةـ العـقـانـد وـحـماـيـةـ الـأـمـوـالـ والأـعـراـضـ والتـسـامـحـ معـ الـآخـرـةـ وـالـتـعـاـونـ .

وقد أثبت القرآن أن للجـتمـاعـ نـوـامـيسـ ثـابـتـةـ قبلـ أنـ يـتخـيلـهاـ أـعـلـمـ أـهـلـ الـأـرـضـ تخـيـلاـ « سـنـةـ اللـهـ فـي الـذـينـ خـلـواـ مـنـ قـبـلـ وـاـنـ تـجـدـ لـسـنـةـ اللـهـ تـبـدـيـلاـ » وقدـرـ أنـ الجـمـاعـاتـ كـالـأـحـيـاءـ لـهـ آـجـالـ لـاـ تـسـطـعـ أـنـ تـتـعـداـهاـ وـهـذـاـ مـاـ هـدـىـ إـلـيـهـ عـلـمـ الـجـتمـاعـ .

« وـلـكـلـ أـمـةـ أـجـلـ فـيـاـ جـاءـ أـجـلـهـمـ لـاـ يـسـتـأـخـرـوـنـ سـاعـةـ وـلـاـ يـسـتـقـدـمـوـنـ » ..  
والـعـلـمـ فـيـ مـفـهـومـ الـإـسـلـامـ يـذـكـرـ بـالـإـنـفـاقـ وـيـعـاقـبـ الـمـسـلـمـ عـلـىـ كـتـمـانـ الـعـلـمـ .. وـقـدـ  
أـمـرـ الـإـسـلـامـ بـتـعـمـيـرـ الـأـرـضـ وـتـنـافـسـ فـيـ الصـنـاعـةـ وـالـفـنـونـ الـمـخـلـفةـ .  
وـإـذـاـ كـانـتـ الـمـسـيـحـيـةـ دـيـنـاـ فـاـ إـلـاسـلـامـ دـيـنـ وـشـرـعـ ..

وـإـذـاـ كـانـتـ الـمـسـيـحـيـةـ تـعـطـيـ مـاـ لـقـيـصـرـ لـقـيـصـرـ وـمـاـ لـلـهـ لـلـهـ، فـاـ إـلـاسـلـامـ يـجـعـلـ الـكـلـ  
لـلـهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ .

وـقـدـ فـتـحـ الـإـسـلـامـ لـلـنـاسـ بـابـ الـاجـتـهـادـ فـيـ تـقـيمـ الـحـقـائقـ فـلـمـ يـقـصـرـهاـ عـلـىـ طـائـفةـ  
مـنـ النـاسـ. وـلـمـ يـخـوـلـ الـإـسـلـامـ طـائـفةـ مـنـ الـأـمـةـ حـقـ السـيـطـرـةـ عـلـىـ الـأـفـرـادـ فـيـ  
الـاعـقـادـ وـالـعـامـلـاتـ بـلـ قـدـرـ أـنـ كـلـ اـمـرـيـ بـمـاـ كـسـبـ رـهـيـنـ .

فإلا إسلام يرفض الوسيط بين الله والناس، ولا يفرض واجبات تزيد عن الطاقة،  
ولا يرضي بالإسراف أو غل اليد في الإنفاق.

ولقد ناط الإسلام بكل إنسان تبعه أعماله ولم يجعله مسؤولاً عن أخطاء أحد  
من قبل ( كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ) .

ولأن الإيمان بالله هو الذي جنب المعرفة الإسلامية من الانقسام إلى دينية  
وعقلية.

ولعل أقوى أسباب تقدم المسلمين في العصر الأول إيمانهم بالحقيقة التي تقول:  
اطلب الموت توهب لك الحياة .. فال المسلم يعتز بإيمانه بالله ولا يخضع لغير سلطانه،  
ويائف أن يكون عبداً لإنسان مثله.

وإلا إسلام يصنع الرجل المثالي الذي لا يقهـر ولا يغلـب .. وسر ذلك هو إيمانه  
بالله واحداً لا شريك له والأمر كلـه بيدهـه. ومن شأن هذا الإيمان أن يقدم الإنسان  
روحـه خالصة في سبيل الله .

وفي هذا يقول (ولفرد كانثال سميث):

«ما من دين استطاع أن يوحـي إلى المتدينـين به شعورـاً بالعزـة كالشعورـ الذي  
يخامرـ المسلمـ من غيرـ تكلفـ ولا اصطناعـ .. وإنـ الغـربـيـ لا يمكنـ أنـ يفهمـ الإـسلامـ  
حقـ الفـهمـ إلاـ إذاـ أدرـكـ أنهـ أسلـوبـ حـيـاةـ تصـطبـغـ بـهـ مـعيـشـةـ المـسـلمـ ظـاهـراـ وـيـاطـناـ.  
.. ولـيـسـ مجـدـ أـفـكارـ وـعقـائـدـ يـنـاقـشـهاـ بـفـكـرهـ».

## ٢- حول مفاهيم القرآن الكريم

«ما من نبي من الأنبياء إلا أوتى من الآيات ما على مثله آمن جميع البشر، وإنما كان الذي أوتته وحيًا، وإنني لا رجو أن أكون أكثراهم تابعاً يوم القيمة» [حديث شريف] ..

ليس أعظم من منهج القرآن الذي حرر الإنسانية من سذاجة التفسير الكنسي وجفاف المنطق العلمي.

فالوحى الإلهي يقدم الأسلوب والمنهج، وكلاهما قائمان على الفطرة، مقبلة لأشواق النفس والروح، وليس هناك أسلوب غيره يمنع هذه الهبة العظمى، يملأ القلب بالسکينة والطمأنينة **﴿أَلَا يَذِكُرُ اللَّهُ تَعَمَّنَ الْقُلُوبُ﴾**.

خطاب القرآن الكريم: الكينونة البشرية، والروح الإنسانية، وحرر الإنسان من سلطان الكهنوت وعبودية الإنسان والوثنية.

\* \* \*

كانت معجزة القرآن: معجزة بيان فكر وذكر وأصالحة (ميراث الأنبياء) فاكتبر ما أعطى الإسلام الفكر والذكر (معرفة قدرة الله واقتدارها قدرها .. والبيان والارتفاع فوق ملفوحة البشرية بالنظرة الشاملة ذات الأبعاد التي ترتبط بالأزل والأبد، وبالدنيا والآخرة، وتستمد نقطة انطلاقها من الله تبارك وتعالى ثم تعود إليه بعد إتمام الجولة).

\* \* \*

إن تحرك الفكر الإسلامي إنما يجري في نطاق القرآن الكريم فإذا خرج عنه وقع العرج ولا يرفع الحرج حتى يعود إليه بفعل قوة التصحيح القائمة في أعماقه، ولقد كان (التأويل) من أخطر الأسلحة التي استعملت لتفسير النصوص تفسيراً

يخرجها عن مدلولاتها الأصلية إلى مفاهيم منحرفة.

ولقد حذر القرآن المسلمين من هذا الخطر حتى لا يخرج المسلمون عن أصول دينهم الجامعة الواضحة.

وتأثير القرآن في المسلمين لا ينقطع، وفي العرب لا يتوقف، لأنه يتناول المنهج الاجتماعي، والسياسي والتربوي، والقانوني لحياتهم الفردية والاجتماعية.

قدم القرآن الكريم عدداً من القوانين والسنن في أمور المجتمعات والحضارات وقرر ثبات السنن الإلهية وحتميتها وعدم تخلتها.

والسنن تشمل القوانين الطبيعية والكونية في حين يستعملها القرآن الكريم خاصة في سنن التاريخ في ثلاثة مواضع أساسية:

(١) سنن الله في إهلاك المكذبين.

(٢) سنة الله في النصر.

(٣) سنة الله في التمكين للرسل ونصرهم بعد اليأس.

وهذا يعني أن القرآن الكريم يقيم للتاريخ اعتباراً كبيراً فهو حصيلة التجارب الإنسانية الطويلة التي ينبغي أن توجه إليها عنابة الإنسان والاستفادة والعبر واكتشاف السنن التي تحكم تصرفات الناس وسير التاريخ خلال الزمن الطويل.

﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسْتَةَ اللَّهِ تَبَدِّلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسْتَةَ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ ..

\* \* \*

أشار القرآن الكريم إلى الإرادة الحرة للإنسان في ثلاثة وستين موضعاً .. كذلك فقد وضع القرآن المسلم بين حدين: هما الوعد والوعيد .. كما جعل من إرادة الإنسان المحرك الجوهرى للتاريخ الإنساني.

### ٣- إسلام القرآن

إن المسلمين في حاجة إلى أن يعرفوا الفارق العميق بين إسلام القرآن وإسلام الفرق، والمبتدعين والسلبيين.

إسلام القرآن الذي يحث على الإعداد الإنساني لهذه الحياة القائم على الذاتية وعدم إلغاء الشخصية الفردية.

\* \* \*

ليس الإسلام مذهبًا ولا نظرية ولا ثورة ولا يجوز لكاتب المسلم أن يدخل الإسلام في مقارنة مع الثورات العديدة التي قام بها الإنسان على مر التاريخ.

\* \* \*

إسم الإسلام لا يرتبط بالزمن (زمن معين) ولا بالمكان (مكان معين) ولا بالعنصر (جنس معين) ولا بالشخص (فرد معين) وإنما هو مطلق عام.

\* \* \*

يمكن تعريف الإسلام بأنه إعادة لصياغة الإنسان ووضعه في مكانه الصحيح من الكون وإعادته إلى فطرته وطريقه المرسوم لكي يعطي كل ما عنده ويعبر عن شتى طاقاته ويسمم في إعمار الأرض بوصنه مستخلف مسنيول أمام الله تبارك وتعالى.

\* \* \*

لقد كانت رسالة الإسلام أعمق حركة من حركات التحرير والتجديد التي عرفها تاريخ الشعوب العربية والإسلامية؛ لأنها بادرت منذ اللحظة الأولى إلى تحرير

الإنسان من رقة الوثنية والتعدد والطاغوت وكل سلطان مارسته العقائد البدائية على المجتمعات القديمة واستقرت مقاليده في طبقة الكهنوت.

وأعلنت مساواة الأجناس البشرية أمام العدل الإلهي وأزالالت ضروب التباعد بين الشعوب فلم يقو عرش كسرى أو قيصر على صد تيار التحرر الذي تدقق من جزيرة العرب وتحطم الطبقة الساسانية الفارسية على صخرة المساواة الإسلامية وانجلترا الاستبداد البيزنطي عن سواحل البحر الأبيض المتوسط.

\* \* \*

إن الإنسان الإسلامي على خلاف الإنسان المسيحي لا ينوه تحت وطأة الخطيئة الأصلية التي تحكم عليه وعلى نفسه بالسوء والفساد.

\* \* \*

يقرر الإسلام ثلاثة عقائد أساسية:

عقيدة التوحيد - عقيدة الرسالة - عقيدة البعث.

ويقدر أن الحياة بطبيعتها ثنائية تقوم على التوازن بين المادة والروح ..

فإذا طفت إحداهما على الأخرى اضطربت وانحرفت ولا استقامة لها إلا إذا استعادت التوازن أو عادت إليها والقلق الذي يشكو منه الكثيرون لا سبب له إلا فقدان هذا التوازن .. وحياة كل منها في عبارة موجزة: «التحرك بين المادة والروح سعيًا إلى إيجاد هذا التوازن».

فالحياة محكمة بنواميس ثابتة تسيرها قوة علوية .. والتوازن يحفظها من التفكك أو الانهيار، هذا التوازن لا يتحقق بغير هذه النواميس الثابتة.

نحن ذرات في هذا الكون العظيم الهائل السائر في طريق يتوازن تفرضه القوة العليا، كل ذرة محكمة بنواميس ثابتة وليس أحد يستطيع أن يخلق هذه النواميس غير الله تبارك وتعالى.

كان المثل الأعلى عند الإغريق هو أن يجعل الدولة نصب عينيه .. أما المثل الأعلى الإسلامي فهو أن يجعل عبادة الله مطمع نظره.

\* \* \*

يرفض الإسلام المقالة في المحافظة .. وفي التجديد، فكلهما يخرجه عن النطرة وقوانين الحياة الطبيعية التي تجمع بين القديم والجديد والماضي والحاضر، ويقرر الإسلام التوارث بينهما.

الحرية في مفهوم الإسلام تقوم على التحرر من قيد الجهل والخرافة والتقليد.

\* \* \*

إنما ينتصر المسلمون بمعصية عبدهم لله .. فإذا استوى المسلمون وغيرهم في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة.

\* \* \*

هناك مناهج ثلاثة تختلف عن منهج القرآن:  
منهج الكلام والفلسفة ، المنهج العلمي الغربي ، منهج التصوف الفلسفى.

\* \* \*

وضع منهج الإسلام على أساس طلب الغلبة والشوكه والعزوة والعلم ورفض كل قانون يخالف شريعته ونبذ كل سلطة لا يكون القائم بها صاحب الولاية على تنفيذ أحكامه، فالناظر في أصول هذه الديانة ومن يقرأ سورة من كتابها المنزل يحكم حكمًا لا ريبة فيه بأن المعتقدين بها لابد أن يكونوا أول أمة حربية في العالم وأن يسبقوا جميع الأمم إلى اختراع الآلات الحربية وإتقان العلوم العسكرية، والبحر فيما يلزمها من الفنون كالطبيعة والكيمياء وحمل الأنقال والهندسة (محمد عبده).

\* \* \*

تعاليم الإسلام ليست حلولاً للمشاكل بقدر ما هي وقاية من المشاكل.

\* \* \*

قرر الإسلام الرجوع إلى الحق: «ولا يمنعنيك قضاء قضيته بالأمس هديث فيه إلى رشك أن ترجع فيه إلى الحق .. فإن الحق قديم والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل».

\* \* \*

إن الإسلام روح الأمة روح الأمة أعظم من روح العصر .. وما روح العصر إلا طانفة من السنن تركها على الزمن أناس مصلحون أو مفسدون.

لقد أخطأ الغربيون عندما تصوروا الإسلام دين عبادة، وجهلوا الحقيقة التي تقرر أن الإسلام حركة اجتماعية، جاء الدين جانباً من جوانبها.

\* \* \*

إن الإسلام كما نص القرآن الكريم ليس بدين جديد، ولكنه الدين الأول الذي أوحاه الله إلى المسلمين الأولين، فإن محمدأ عليه السلام إنما أرسل ليصحح الخطأ الذي طرأ على الأديان والتحريف الذي أصاب الدين الأصلي الذي أرسل الله به المسلمين، والذي أصابه التحريف نتيجة تأويلات نصوص الكتب المقدسة التي خرجمت بها عن أصولها، كذلك هناك مانسي أصحاب الأديان وما حرفا عن الأصل.

\* \* \*

حرم الإسلام التفاضل بالاجناس والأنساب والطبقات وأنكر العصبية وجعل قيمة الإيمان أعلى القيم في الترابط وفي التفاضل.

\* \* \*

**الوسطية الإسلامية هي وسطيات ثلاثة:**

**(١) وسطية إقليمية جغرافية، بالنسبة لوقع الإسلام من العالم.**

**(٢) وسطية ثقافية وحضارية وتجارية وسياسية.**

**(٣) وسطية سلوكية قائمة على التعادل أو التوازن الاجتماعي بين الفرد**

**والمجتمع، وبين المادة والروح، والدين والدولة، والدنيا والآخرة.**

\* \* \*

## ٣- حول مفهوم الإسلام والأديان

(دين الله واحد وشرائع الأنبياء مختلفة) ..

تلك حقيقة جديرة بأن نتدبرها ونفقها، حتى لا تخدعنا كلمات المستشرقين والمبشرين، الذين يقولون إن في القرآن تشابهاً مما ورد في التوراة والإنجيل؛ ذلك لأن مصدر الدين واحد وإن هذه الكتب في متنزلها كانت من عند الله ثم لم يحفظ أهلها نصوصها سلية من التحرير، ومع ذلك فقد بقى خطوطها عامة قائمة.

جاءت الأديان السماوية قبل الإسلام لبيبة معينة أو عصر معين، ومع مرور القرون والأعصار .. ولما تقتضيه طبيعة ترقى الإنسان، كان لابد من نسخ تلك الأديان واحداً بعد آخر لتتلائم مع عقلية الإنسان المترقبة .. وهي في أساسها جميعاً دعوة للتوحيد، غير أن هذه الأديان التي يسلم بعضها إلى بعض، وتتعهد بأن تؤمن بالدين الخاتم متى جاء لم تثبت أن تحولت إلى قوميات وانحرفت عن طريقها المرسوم الذي يقتضي منها أن تسلم نفسها لما بعدها .. فرفضت اليهودية المسيحية، ورفضت المسيحية الإسلام.

\* \* \*

إن القول بالتلقي والتعدد، عقيدة يبقى العقل حيالها حائراً .. ولا يستطيع النفاذ إليها وهو أمر لا يتصوره الخاطر .. وقد وقفت حجر عثرة لدى العقول وحالات كثيرة دون اعتناقها، أو عن استمرار من أحد على القول بها، وعلى العكس من ذلك جاءت عقيدة الإسلام مطابقة للفطرة والعلم، لأنها تقوم على التوحيد الخالص.

\* \* \*

فشل التجربة مع أبناء إسرائيل فنقل الله الملك والنبوة إلى أبناء إسماعيل وكشف عن أن بنى إسرائيل عجزوا عن حمل الأمانة وأفسدوا في الأرض.

وأعطي الله تبارك وتعالى الرسالة للعرب وكلهم بأمرين:

(١) القيام على أمر الله بالرحمة والعدل في الخلق.

(٢) تأييد الحق، وبذل النفس والمال في سبيل إعلاء كلمة الله..

وسيظل المسلمون هم حملة الأمانة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. ولا عبرة بأن أمماً الآن قد استغلت على المسلمين واحتلت بلادهم .. فإن ذلك إنما وقع بعد أن ترك الإسلام وقوى ومضى عليه ألف عام .. وهذا وضع مؤقت حادث سيتقلب عليه المسلمون وإن ينال منهم إلا بقدر ما يعطيه التحدي على المواجهة مرة أخرى.

\* \* \*

إن فكرة حرية العقيدة لها في الإسلام مفهوم يختلف عن المفهوم الغربي تماماً. فما دام الإنسان قد ارتضى الإسلام ديناً فإنه أصبح ملتزماً به، لا يخرج عنه، ولا يجوز له أن يدعو إلى مفهوم يختلف معه تحت دعوى حرية العقيدة.

معنى هذا أنه ليس من حق الإنسان إذا أسلم وأعلن إسلامه أن يبدل عقيدته.

وهناك من يلتبس من فكرة حرية العقيدة الدفاع عن حق المرتدين من الملحدين والماركسيين والبهائيين وغيرهم في حرية النشاط العلني في الدعاية إلى أفكار مضادة للإسلام .. وأن ما جاء في الآية الكريمة (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَوْا...) فقد كان بالنسبة لما هو قبل البعثة المحمدية أما فيما بعدها فقد تحدد شكل الإيمان تحديداً نهائياً.

\* \* \*

## ٥- تكامل مفهوم المعرفة الإسلامية

وسع الإسلام أفق المعرفة فلم يجعله قاصراً على المرنىات وحدها، ولكنه جعله جاماً بين ما يوجد في عالم الشهادة وما يوجد في عالم الغيب وجعل مصادر المعرفة في عالم الشهادة: السمع والبصر والتفكير (الفؤاد) .. وفي عالم الغيب النبوة والوحى.

ولا يرى الإسلام في مفهوم الإيمان مفهوماً مضاداً لمفهوم المعرفة كما هو الحال في الأديان الأخرى، ويرفض الإسلام الاقتصار على مفهوم المعرفة القائم على الحس والتجربة وحدهما، بل يضيف إلىه علمًا آخر جاء به النبي ﷺ عن طريق الوحي وسجله القرآن وفيه كل ما يتصل بعالم الغيب والأخرة والجزاء وجعل الإيمان بالغيب شرطاً أساسياً من شروط تمام الإسلام.

وبذلك أقام الإسلام منهجاً جديداً للمعرفة ومتكملاً على أساس ترابط الوجود والفكر، والعالم المحسوس وعالم الغيب، والوحى والعقل.

\* \* \*

تقوم نظرية المعرفة عند التجربيين على الحس، وعند التقليديين على العقل، وعند الصوفية على الثقة أو الحدس.

غير أن القرآن وسع أساس المعرفة واستوعب طرق المعرفة جميعاً، وجعل منها كلّاً متكملاً غير قابل للتمييز، وضع القرآن أساس المعرفة على أساس الكم والكيف والمادة والروح، والغاية والسبب، وربط القرآن بين الحواس والعقل والوجودان، ووضع أهم القواعد التي تحفظ العقل من الزينة، وهو عدم تجاوز الحد، وأن الغيب فوق طاقة العقل ومقدراته، كما دعا إلى التقدير والتقرير، وعدم التعجل في الحصول على النتائج، قبل استكمال البحث والموازنة والاستقرار، ودعا إلى

التخصص قبل البحث وعدم المكابرة، والعناد، ودعا إلى المواجهة والمعاودة  
والاستمساك بالحق والبعد عن الغرور والجهر بالحق والدفاع عنه.

\* \* \*

وأبرز مظاهر العقل الإسلامي تتمثل في تكامله وواقعيته الصادقة .. أما العقل  
الأدبي فإنه لا يستطيع أن ينظر نظرة كاملة للأبعاد المختلفة للأمور ويقصر  
نفسه على ناحية واحدة.

فإلا إسلام يمثل النظرة المتكاملة في أبعادها الروحية والمادية والعقلية، وترتبط  
الخلق مع العقيدة والعلم مع الدين، ويربط الإسلام بين الأرض والسماء والمطلق  
والناري والزمي والروحي واللأنهائي والمحبود .. ويربط بين فناء الدنيا وخلود  
الآخرة.

ويقرر الإسلام أن الدائرة لا تتم إلا بالبقاء القوسيين: الروح والمادة، والفرد  
والجماعة، والعقل والقلب، كما تتم الدائرة الكهربائية بالسالب والموجب معاً في وقت  
واحد، وإن بدا في الظاهر أنها متضادان حيث يخرج الضوء وتظهر الطاقة، إن  
البقاء السالب والموجب ليس متضاداً ولكن تكامل، وليس التقائهما يحدث الصراع أو  
الصدام بل على العكس يكمل دائرة التكامل.

وهذا هو الفارق الواسع العميق بين الفكر الغربي والإسلام، ومن هذا التكامل  
تبعد نظرة المسلم إلى الحياة وهي نظرة تحمل مفاهيم الانسجام والتواافق بينه وبين  
الإنسان والطبيعة، لأنه يعبد إلهًا واحدًا هو الله تبارك وتعالى خالق كل شيء، ومن  
ثم أصبح المسلم بهذا الفهم محرراً من العقبات والقيود، متعاطفاً في حركته مع  
حركة الوجود كله يمارس وجوده في تعاطف وتعاون بين عناصر هذا الوجود.  
وهذه النظرة تختلف عن نظرة الإنسان في الغرب إلى الحياة وهي نظرة قائمة على  
الصراع مع الطبيعة والمجتمع قوامها الشك واليأس.

\* \* \*

هل يقر الإسلام مفهوم الجبرية التي تقول بها الفلسفات الحديثة. إن دعوى الجبرية تستهدف أن يسلب من الإنسان حرية الإرادة والاختيار، حتى تجعل المسئولية على المجتمع، وهذا مفهوم لا يقره الإسلام، والواقع أن حرية الإرادة في الإنسان هي منطقه الحقيقي ومصدر مسئوليته في الآخرة، وقد حاول التغريب تجديد هذه الأفكار في محيط الإسلام وتصدى الشاعر محمد إقبال لذلك فقال:

إن الذات الإنسانية في صراعها مع العالم الطبيعي يمكنها أن تبلغ منزلة الاختيار إذا هي قهرت كل الصعب، وإن الذات نفسها فيها اختيار وجبر ولكنها إذا قاربت الذات المطلقة وهي الله تبارك وتعالى نالت الحرية كاملة والحياة جهاد لتحصيل الاختيار ومقصد الذات أن تبلغ الاختيار بجهادها.

وقد حاول بعض المستشرقين الادعاء بأن بعض آيات القرآن تحمل مفهوم الجبرية ولكن ذلك كله كان باطلأ.

فإن مفهوم الإسلام كان واضحًا جليًّا في أن الله تبارك وتعالى وحده هو الخالق وإليه ينسب خلق الأشياء من العدم، أما العقل والصنعت والعمل فقد نسب إلى الإنسان في القرآن والإنسان يتصرف وسطاً بين جبر واختيار، وقد دعا القرآن للإنسان إلى تسخير ما خلق الله من مادة في هذا الكون، والخلق مجبرون في كيفية خلقهم «اللون، الحجم، العطاء المادي» ومحبوبون في مواجهة الأحداث كالموت والزلزال والألام والآحزان ولكن الخلق ليسوا مجبرين بل مختارين في أمر السعي في الحياة إلى العلم والقوة والفن عن طريق العمل والكسب، وقد دعا الله تبارك وتعالى الإنسان إلى العمل وتغيير واقعه «**قُلْ أَعْمَلُوا**» «**فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ**» كما دعا إلى العلم والفهم والنظر والتفكير والتأمل وقد حرضه الحق تبارك وتعالى على مفاهيم الطبيعة، كذلك فقد حرم الإسلام المسلم من الشعور بالوضاعة والذنس الناشئ من عقائد الخطيئة الأولى وغيرها.

\* \* \*

كذلك فإن الإسلام يقدر أن (الصدفة) ممتنعة وأن أمور الحياة تتم بتقدير الله تبارك وتعالى ولا شيء يفلت من الرقابة والإحكام **«إِلَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ»** ذلك أن القول بالصدفة مما لا يقبله العقل؛ لأن الصدفة لو خلقت رجلاً فرداً فليس من العقول أن تخلق له أنتش لها صفاتها الخاصة بحيث تتحدد معه في الجنس وتختلف معه في اللون حتى إذا التقى ذلك اللقاء الخاص وجد ذلك النسل.

وهل هناك صدفة في هذا الكون العظيم المنظم الدقيق ليه ونهاره، شمسه وقمره، صيفه وشتائه، وتوقيته العجيب الدقيق المستمر **«إِنَّ اللَّهَ يَمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَرَوْلَا»**.

\* \* \*

كذلك فإن مفهوم القضاء والقدر لا يؤخذ من كتب الصوفية المتأخرین ولا من كتب المعتزلة وعلماء الكلام، وإنما يؤخذ من القرآن نفسه، وليس صحيحاً بأن المسلمين قبلوا عقيدة الجبر واستسلموا لكل ما هو مقدر عليهم فكان ذلك سبب عجزهم عن التقدم، وهذه آراء ظهرت في عصور الضعف.

\* \* \*

ولابد أن نعرض هنا للدعوة المثارة إلى ما يسمى العقلانية .. ونقول: إن الدعوة إلى العقل عرفها المسلمون صادرة من القرآن الكريم نفسه، فالعقل مصدر التكليف، ولكن الخطأ هو في المغالاة في الدعوة إلى العقلانية ومحاولة فرضها أسلوباً وحيداً للحياة والتفكير بحيث تنكر المعرفة كل الأساليب والوسائل الأخرى، ذلك لأن نظرة الإسلام نظرة جامحة بين العقل والوجودان، أما اندفاع الغرب في العصر الحديث إلى التحيز للعقلانية فإن ذلك إنما جاء كرد فعل عن مرحلة سابقة كان الغرب فيها قد اشتبط في التعامل مع الرهبانية والعاطفة والحدس، وقد جات موجة العقلانية نتيجة لظهور الكشف الخاصة بالقوانين الطبيعية ولكنها مع الأسف أصبحت منطلقاً للنظريّة المادية، ولكن الإسلام يؤمن بالفهم الجامع:

القائم على التوازن بين الحس والعقل وبين الروح والمادة .. وقد عرف المسلمون من قبل مفهوم الحس والعقل ومفهوم التجربة ولكنهم لم يذهبوا مذهب الغرب في إعلان العلم أو تنديس العقل.

إن مفهوم عقلانية المعرفة تدعو إلى التحرر من التعصب ومن التقليد ومن الوثنية والخرافة، ولكنه لا يدعو لإنكار جوانب أخرى من المعنويات والروحية وعالم الغيب ومفهوم الوحي.

ويجب أن لا تحجب العاطفة أو الوجدان أو الروح ذلك الجانب الأساسي في الإنسان .. وعلى الوجدان والعقل معاً أن يتحركان في إطار الوحي .. والعقل قادر على المطاء في المجالات العلمية إذا تحرك في ضوء من نور الوحي.

ومن حق العقل أن يجتهد ما شاء الاجتهاد فيما يعرض له من أمور تحتاج إلى الفهم، غير أنه ليس من قدرته ولا من حقه أن يستقل في حركته تلك وإنما عليه أن يهتدى فيها بهدى الله تبارك وتعالى.

\* \* \*

وبالجملة فقد وضع القرآن أساس قانون المعرفة واستوعب طرق وسائل المعرفة جميعها وجعل منها كلاماً متكاملاً غير قابل للتمزق.

وتقوم نظرية المعرفة في القرآن على أساس التعادل والتكامل بين الكم والكيف والمادة والروح والغاية والسبب .. وقد ربط القرآن بين الحواس والعقل والوجدان .. فالقرآن يدعو إلى استعمال الحواس وخاصة السمع والبصر ولكن الحواس لا تغنى وحدها ما لم تستعين بالبصيرة الملهمة والعقل الراجح.

\* \* \*

## ٦ - حول مفاهيم النظام السياسي الإسلامي

إن المجتمع الإسلامي لم يولد تحت ضغط ظروف جغرافية بل ثقافية لتداء فكرة التوحيد الخالص، ولذلك فإن المسلم لا يستطيع أن يندمج في أي رابطة ما تقدم له أي أخوة غير الأخوة الإسلامية.

### \* أخوة إسلامية:

إن الإسلام هو الذي منح شعوبه تلك القوة التي صارت قوة الأكاسرة والقياصرة ودول الحروب الصليبية والاستعمار، وقد حمت قوة الإسلام مجتمعها بمبادئها التي تدين بها ولم تعتمد مبادئ خصومها.

لقد وضع الإسلام للناس منهاجاً كاملاً للحياة ولم يفرض هذا المنهج فرضاً على الأمم المفتوحة بل ترك الناس أن ياخذوا به إذا أراؤوا وهم قد أخذوا مقتنيين بصلاحيتهم دون إكراه.

ومنذ أن شكل الإسلام لونه المميز على خريطة العالم: عالم مستقل له طابعه المقرر « صِيَفَةُ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ صِيَفَةً » ومنهجه المتعدد بالتوحيد والإيمان والأخلاق والشريعة، ومنذ ذلك اليوم أصبح المسلمين قبلتهم الواحدة التي لم يحيدوا عنها تهوي إليها أفتديتهم وقلوبيهم بالإيمان والفكر والتنظر ولم يكن لهم بعدها منذ ذلك اليوم وإلى أن يirth الله الأرض ومن عليها قبلة أخرى، وما تزال الكعبة المشرفة وستظل مركز الدائرة في أرض الإسلام.

\* \* \*

قبل أن يمر قرن واحد على الهجرة كان الإسلام قد عم العالم القديم المعروف في آسيا وأفريقيا وبعض أوروبا ديناً ولغة ودولة وحضارة.

إن الامبراطورية الرومانية قد نشأت في مدي عشرة قرون ثم سقطت في أثناء عدد قليل من السنين ثم نسيت لغتها وانقرض دينها وضاعت حضارتها، أما الإسلام فقد ذهبت دولته السياسية ولكن الإسلام بقي ديناً ولغة وحضارة إلى اليوم برغم كل مقاومة قامت في وجهه.

\* \* \*

رفض النظام الإسلامي الأنظمة السياسية السابقة ووجه مجموعه إلى النظام القيصري والكسروي وأعلن أنه لا ملك إلا لله .. ورفض الإسلام نظام كسرى وقيصر وفرعون .. ورفض عقيدة الحق الإلهي التي كانت الملوك تحكم بموجبها .. ورفض النظام الطبيعي الثابت، الطبيعة لا تخرج عن حدودها والعبيد هم العبيد.

رفض الإسلام: هذه القيصرية الرومانية البيزنطية، الكسروية، الفارسية، الفرعونية المصرية، التي تقول بأن ذات الامبراطور مقدسة إلهية فوق مستوى البشر فهو في نظر رعيته إليها لا يقترب الفرد من حضرته إلا ساجداً.

ولقد أخرج قادتها الخلافة من بيت النبوة حتى لا تجتمع النبوة والخلافة في شخص واحد ولا في بيت واحد، فلم يكن النظام الطبيعي عبادها. إن الفتاة المتميزة التي استأثرت بالقرار الخامس في اختيار الخليفة هي المهاجرة الأولى والبدريون على رأسهم العترة المبشرون بالجنة، وكان شرف هذه الفتاة نابعاً من البلاء والسبق في نشر الإسلام وتأسيس الدولة لا من نظام طبيعي أو أصل عرقي أو نعمة قبلية أو ثروة كبيرة.

لقد وضع الإسلام مفهوماً للشرف يختلف عن مفهومه في الجاهلية.

\* \* \*

يقول القاضي عبد الجبار في كتاب (تبني دلائل النبوة):  
عندما بلغ أهل اليمن والبحرين وعمان نبأ اختيار النبي للرفيق الأعلى سالوا عن

نوع نظام الحكم وعن الرجل الذي ولـي السلطة في المدينة فقالوا لـعمال رسول الله: هذا الذي بايعه الناس بعد رسول الله: ابنه أو أخوه فقيل لهم: لا، قالوا: فاقرب الناس منه. قيل: فـما شأنـهم؟ قيل: اختارـوا أخـيرـهم فـأمـرـوه عـلـيـهـمـ. قالـوا: لـن يـزالـوا بـخـيرـ ما صـنـعـوا هـذـاـ.

\* \* \*

إذا كان الإسلام يأخذ بمبدأ الشورى فإنه ليس من صواب الرأي ما يظنه البعض من أن هذا المبدأ ينطوي على الأخذ بمبدأ (سيادة الأمة) إذ أنها غربية الأصل، إذ لا يصح القول بأن التشريع في الإسلام هو التعبير عن إرادة الأمة التي تجد غالبية أفرادها في هذا العصر مسلمين اسمـاً فحسب، ذلك أن التشريع في الإسلام إنما هو تعبير عن تطبيق أحكام القرآن الكريم.

\* \* \*

## ٧- حقائق في النفس والالتزام الأخلاقي

إن أساس حرية الاختيار في الإسلام يقوم على الافتراض بأن الأصل في الإنسان الخير على خلاف ما تقول به التصرينية وغيرها من أن الإنسان خلق خاطئاً وخلافه ما جاءت به التعاليم الهندووكية من أن الإنسان كان في أول أمره ذنباً فهو من أجل ذلك محمول على أن يتخطى في سلسلة من التعمّص نحو هدفه الأقصى من الكمال، كما يقرّر القرآن أن الإنسان خلق طاهراً وخلق تماماً.

\* \* \*

لقد أعطى الإسلام النفس المسلمة المشينة السوية: «لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ» فحملها المسؤولية الكاملة بعد أن أنار لها الطريق وحدد لها الأمان، وجعل مسؤولية الإنسان في حدود عمله.

ودعا الجسد إلى التوسط وعدم المغالاة في إشباع الفرائض وذلك في إطار تشرف على تنسيق النفس صاحبة المسؤولية بين جسد يبحث عن الإشباع الفريزي بمتطلباته البيولوجية وروح من الله ترمز إلى التسامي من خلال آفاق متجاورة للاستهلاك.

\* \* \*

إن الإسلام يرفض بدعة (اللامتنمي) فهي دعوة الضائعين والثانئين، لأنها تستهدف الهروب من كل مسؤوليات الفرد والإفلات من كل القيم وهم يسمونها (موقف) ويدعونها وجودية وتعبيرأ عن الذات.

إن الشخصية الإسلامية لا تنكر الصراع الداخلي ولكنها تتجو دائماً من

التعزق والتحلل .. فهي شخصية منتبة بكل ما تحمل الكلمة، ملتزمة بكل ما  
احتواه فكرها وضميرها من عقيدة ريانية والمسلم الملزم يسترخص كل كل شيء  
في سبيل الدفاع عن عقيدته.

\* \* \*

مع الإيمان بالله تبارك وتعالى تجد النفس أمنها وسكيتها، وتجد الحماية من  
نفسيات الشخصية فليس أخطر على الفرد من توزع الفكر.  
ولا يتأتى انقسام الشخصية إلا نتيجة تغليب حياة الروح بالجود على المتعة  
الحسية أو تغليب حياة الجسد والاسترسال مع الشهوات والإقبال على اللذات  
المادية.

والإسلام ينظم العلاقة بين الروح والجسد على نحو لا تقوم معه عقد نفسية أو  
انقسام أو تعزق.

\* \* \*

## ٨- حول مفاهيم العلم في الإسلام

ال المسلمين هم الذين وضعوا المنهج التجريبي بشهادة بريغولت ودرابر وبيكون. وقد سبق ابن خلدون: سميث وهigel، وسبق المعري دانتي .. وابن مسكونيه سبق دارون، والطروشني سبق ميكافيلي.

ولقد أنكر الغرب أثر المسلمين في بناء الحضارة والعلم ثلاثة سنتات. ولقد قدم ابن الهيثم (أرجانونا) علمياً جديداً هو منهج الاستقراء والتجربة الذي صاغه من بعد (فرنسيس بيكون) هذا المنهج الإسلامي الذي أقام طب ابن سينا ورياضيات الخوارزمي، وبصريات ابن الهيثم وكيمياء جابر.

\* \* \*

لقد أعطى المسلمين أوروبا المنهج التجريبي الذي أحياها، فلما عادت أوروبا أعطت المسلمين المنهج الأرسطي القديم لتميّتهم، فأخذ المسلمين منهجه أرسطو فعزلهم عن حقيقة الإسلام التي أقامها المنهج التجريبي حين رفض منهجه أرسطو ثم رفضه الأوروبيون ونقدوه بما نقدوه به المسلمين.

ولكن الأوروبيين الذين اقتبسوا العلم الاستدلالي من المسلمين فكان سبق ارتقائهم رموا المسلمين إلى المنهج الأرسطي ليستعينوا به على إقناعهم بكل ما يريدهون من السوء بهم من حيث لا يشعرون بردّهم إليه.

\* \* \*

غير أن الإسلام يقدر أن التقدم العلمي والتكنولوجي لا يتعارض مع الإسلام ولا ينافي عن الدين ولابد له من ضوابط من العقيدة والشريعة والأخلاق.

ويفرق الإسلام بين المعارف الجوهرية والمعارف غير الجوهرية التي ليس لها قيمة إلا أن تكون للزينة فقط.

\* \* \*

إن العلم سوف يعجز عن القضاء على الدين، فقد عاش العلم والدين أجيالاً متباينين، بل إن الحقيقة التي تبدو الآن واضحة أن العلم سوف يؤكّد الدين: الدين الحق.

ليس من مهمة الدين تفسير ظواهر الكون ولكنه يضع الإطار الأخلاقي للحياة ويرسم منهج العلاقات بين الله (تبارك وتعالى) والإنسان وبين الإنسان والمجتمع والإسلام هو الذي أقام للعلم منهجه ومنطلقه من حرية البحث ومراجحة التفكير والتسامح الديني وهو الذي قدم المنهج التجريبي.

ومن هنا فإن أي حديث عن الصراع بين العلم والدين فهو أمر وافد من غير أنفنا ومحيط غير محيطنا .. وهو يمثل تحديات لم يعرفها الإسلام في تاريخه ولا مجتمعه.

ويخطو العلم اليوم خطوات ثابتة نحو الإيمان بالله والاعتراف بعالم الغيب والتحرر من الفلسفات المادية.

وقد وردت مادة (العلم) في القرآن ٨٦٠ مرة وكانت أول كلمة نزلت على النبي ﷺ هي «اقرأ» وقد أقسم الله تبارك وتعالى بالقلم وما يسطرون وقد أطلق كلمة العلم في الإسلام دون أن تختص نوعاً معيناً.

\* \* \*

ويفرق الإسلام بين العلم التجريبي وبين ما يطلق عليه العلوم الاجتماعية والإنسانية التي لا يمكن أن تكون بمثابة علم، فالإنسان أساساً لا يخضع لقوانين المادة، لأنّه مقام من روح وجسد، فليس مادة خالصة، كذلك فإن هذه المقررات التي تسمى بالعلوم الاجتماعية هي ليست قوانين حقيقة ولكنها بمثابة فروض ووجهات نظر.

فمشاعر الإنسان وعواطفه مما يصعب إخضاعها لقوانين التي أخصمت لها

إن العلم سوف يعجز عن القضاء على الدين، فقد عاش العلم والدين أجيالاً متباينين، بل إن الحقيقة التي تبدو الآن واضحة أن العلم سوف يؤكّد الدين: الدين الحق.

ليس من مهمة الدين تفسير ظواهر الكون ولكنه يضع الإطار الأخلاقي للحياة ويرسم منهج العلاقات بين الله (تبارك وتعالى) والإنسان وبين الإنسان والمجتمع والإسلام هو الذي أقام للعلم منهجه ومنطلقه من حرية البحث ومراجحة التفكير والتسامح الديني وهو الذي قدم المنهج التجاريبي.

ومن هنا فإن أي حديث عن الصراع بين العلم والدين فهو أمر وافد من غير أنقنا ومحيط غير محيطنا .. وهو يمثل تحديات لم يعرفها الإسلام في تاريخه ولا مجتمعه.

ويخطو العلم اليوم خطوات ثابتة نحو الإيمان بالله والاعتراف بعالم الغيب والتحرر من الفلسفات المادية.

وقد وردت مادة (العلم) في القرآن ٨٦٠ مرة وكانت أول كلمة نزلت على النبي ﷺ هي «اقرأ» وقد أقسم الله تبارك وتعالى بالقلم وما يسطرون وقد أطلق كلمة العلم في الإسلام دون أن تختص نوعاً معيناً.

\* \* \*

ويفرق الإسلام بين العلم التجاري وبين ما يطلق عليه العلوم الاجتماعية والإنسانية التي لا يمكن أن تكون بمثابة علم، فالإنسان أساساً لا يخضع لقوانين المادة، لأنّه مقام من روح وجسد، فليس مادة خالصة، كذلك فإن هذه المقررات التي تسمى بالعلوم الاجتماعية هي ليست قوانين حقيقة ولكنها بمثابة فروض ووجهات نظر.

فمشاعر الإنسان وعواطفه مما يصعب إخضاعها لقوانين التي أخضعت لها

## ٩ - حول مفاهيم الإنسان

وقف الإسلام أمام (الإنسان) موقفاً مخالفًا لوقف الفلسفات الوضعية .. أقام الإسلام هذا الموقف على أساس تكريم الإنسان بوضعه موضع الاستخلاف في الأرض والنظر إليه من خلال طبيعته الأصلية الجامحة بين الروح والجسم، والعقل والقلب، بوصفه كياناً متكاملاً وبذلك أقر رغباته المادية كلها وأباحها له دون أن يقيدها إلا بضوابط قصد بها حماية الإنسان نفسه عن الانهيار والتدمير حتى يكون قادرًا على أداء رسالته ومواجهة تحدياته دون أن يضعف أو يتخطى وجعل سعيه في الحياة مرتبطاً بالجزاء في الآخرة، وأعطاه المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقي لكي يواجه العالم من منطلق الكرامة وجعل مسيرة كلها خالصة لله تبارك وتعالى.

\* \* \*

والإنسان روح وعقل، وجسد ونفس، ولا ريب أن التفسيرات التي تتناوله من جانب واحد هو جانب الجسم وحده أو الروح وحدها، هي تفسيرات خاطئة، وكذلك تفسيره من جانب الطعام أو الجنس أو البيئة هي تفسيرات جزئية انشطارية لا تصل إلى الحقيقة التي لا تتشكل إلا من خلال منهج واحد متكامل هو منهج الإسلام الذي نظر إلى الإنسان من جميع جوانبه وربط بين مختلف القوى فيه، ووازن بينها.

والإنسان ثابت الجوهر متغير الصورة. والشريعة تمثل الجانب الثابت .. أما الجانب المتغير فيتمثل الاحتكاك بين العقل والكون.

\* \* \*

ألفي الإسلام الفكرة القديمة التي كانت تقول: إن هناك صراعاً بين الجسم

والروح، وأعلن أن الجسم والروح متكاملان، وبذلك أسقط مفهوم الربانية القائمة على الرياضة العنيفة ودمير الجسد من أجل تحقيق الصفاء الديني.

أقر الإسلام تكامل الروح والجسد ونظر إلى الإنسان نظرة متكاملة وكرمهما معاً، ودعا إلى الاهتمام بالجسم من حيث النظافة وجعل الطهارة دليل الإيمان ودعا إلى طهارة القلب وجمع بين النظافة والطهارة والزينة وربط بين الدنيا والأخرة «رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً» واستعاد من الجوع والفقر وجعل دعوة المسلمين إلى العفو والعافية في الدين والدنيا والأخرة.

\* \* \*

قرر الإسلام أن الإنسان مستخلف في الأرض، وهو مسئول ومحاسب وأن الإسلام يقوم على أساس تعاليم اجتماعية وأخلاقية تعليم الحياة والحركة في مجال الإنسان الفرد والإنسان الموجود في إطار المجتمع وقد قرر الإسلام نسباً وضوابط في مختلف جوانب الحياة وقيمتها وجعل لها سلماً وأسبقيات، وخاصة في مجال العمل والمعرفة والمال والقوة والعبادة.

\* \* \*

يعطي الإسلام أهمية كبيرة للإنسان كفرد في مجتمع، ويؤكد حاجته إلى التقدم المستمر، ولذلك يحرر مطاقات الخلاقة كلها: فكرية وخلقية وعملية، لتنطلق في خدمة تقدمه كإنسان، وفي خدمة المجتمع ككل بون السماح لعائق ما أن يقف في وجهه، ولا سيما العائق الطبيعي الذي يحكم على الإنسان باعتبار الطبيعة الاجتماعية التي ينتهي إليها لا على أساس مواهبه وقدراته ومدى ما يمكن أن يقدم للمجتمع من خدمات.

\* \* \*

تتكامل الشخصية الإنسانية في الإسلام على نحو لا تصل إليه الفلسفات فتجد

كل قوة من قواها النظرية مجالاً يتتسق مع مجالات قواها الأخرى، فمن ثم لا تهدر قوة من تلك القوى ولا تتعالى على غيرها .. وهذه علاقة صدق على وحدة المصدر.

فالله تبارك وتعالى هو واسع الشريعة بمعناها الشامل للعقيدة والأخلاق والسلوك من أسس الدين فهو جل شأنه باري الشخصية الإنسانية وخالق نزعاتها وقوها المختلفة.

ومن مقومات الشخصية أن الإنسان مسئول عن نفسه مسئولية كاملة فلا يحاسب الإنسان عن عمل غيره، ذلك أن كل نفس بما كسبت رهينة، ومنها بذل النفس والتفاني لله إيماناً بالجزاء في الدار الآخرة وقد صاغت العقيدة الإسلامية نفوس معتنقها متحركة من كل تبعية إلا لله تبارك وتعالى فيما أمر به وإيثار ما يطلب الشرع لا الهوى وتطييع الحياة للدين لا تطويق الدين للحياة.

كذلك فإن المثل الأعلى للشخصية الإسلامية هو النبي محمد ﷺ الذي كان خلقه القرآن.

«إِنَّمَا كَانَ قَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطْعَنَا» .

\* \* \*

## ١ - دول مفاهيم النفس والروح

يختلف مفهوم الإسلام عن مفهوم النظريات الواحدة، فالنفس في القرآن تعني ذات الإنسان بكل ما فيه (وقد وردت في القرآن في ٢٩٥ موضعًا) .. إنها تعني كما يقول الأستاذ أحمد موسى سالم: اعتقاد قلبه وإرادة عقله وعمل جوارحه جملةً أو تفصيلًا .. فليس هناك فصل بين النفس والجسم - في القرآن - ليس هناك فصل بين القوة الموجهة للعمل وبين الأداة المنفذة له. إن هذا الفصل موجود في المذاهب الزمدية الوضعية التي ترفض فلسفتها مرحلة الحياة على الأرض فتفصل بتعاليمها ورياضياتها بين النفس والجسم وبين القوة والإدراك .. بينما يقوم الدين والإسلام والقرآن على حتمية وحدتها حتى عند من يؤمنون بالفصل بينهما؛ ذلك لأن الإنسان في النهاية هو فقط (عمل) الذي يخرج به من هذه الحياة المقدورة له على الأرض من أول نفس يستنشق إلى آخر نفس.

والنفس كما سواها الله (تبارك وتعالى) في الخلق وكما صورها في القرآن الكريم هي الإنسان بذاته (عقيدة وعملًا وفكراً وجسماً) .. وبذلك فإن الصحيح هو أن تقول: إن الإنسان نفس قامت من روح الله تبارك وتعالى واهتدت بروح الله تبارك وتعالى.

وليس الإنسان روح فقط (كما يدعى البعض): ذلك لأن الروح هو وحده روح الله وهو وحده منه، فلا يتعدد في غيره وهو من أمره وحكمه.

وتمثل النفس في أربع مواضع:

(١) النفس: هي عقيدة الإنسان كما صورها الله تبارك وتعالى في قوله: «**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاها**» ، «**يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نُفُسٍ بِجَادِلٍ عَنْ نُفُسِهَا**» .

(٢) النفس هي عمل الإنسان وليس سواه «**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نُفُسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ**

خَيْرٌ مُخْضِرًا .

(٢) النفس هي الإنسان بذاته وصفاته (عقيدة وعملًا وأخلاً وفكراً وجسمًا)

« مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ »

(٤) النفس والجسم متدينان غير منفصلين وأنه لا ينبغي انفصالهما كما لا ينفصل اللفظ عن معناه واتحاد النفس والجسم يعود فيتجدد يوم البعث « وجَاءَتْ كُلَّ نَفْسٍ مَعَهَا سَانِقٌ وَشَهِيدٌ » السائق العمل والشهيد الجوارح.

\* \* \*

هذه المفاهيم الإسلامية تكشف عن التباين الواضح مع مفهوم فرويد الذي فصل بين العقل الباطن والعقل الظاهر في محاولة لتمزيق وحدة النفس والجسم أو القوة والإرادة .. وهو جزء من مخطط الفكر الغربي القائم على الفصل بين القيم، وبين النظرية والتطبيق.

\* \* \*

## ١١ - حول وحدة الفكر الإسلامي

أقام الإسلام وحدة ثقافة وفكر بين أهله لا وحدة عنصر، فقد غرس الإسلام مفهوم العقيدة وجعله مقدماً على كل العناصر، فالإسلام يقيم روابط المجتمع على العقيدة والإيمان بين المؤمنين .. بصرف النظر عن أجناسهم أو لفاظهم أو سابق تاريخهم .. وليس في الإسلام هيئة تتوسط بين العبد وحالقه.

إن أبرز مفاهيم الإسلام الذي انتصر به المسلمين هو أن تعاليم الإسلام وحدة متكاملة لا تصح عزلتها أو تفتيتها أو الأخذ بفرع منها دون الآخر، فكل فرع منها مؤثر في الفرع الآخر متاثر به، فقد دعا الإسلام إلى ضرورة التكامل بين تعاليمه الاجتماعية والأخلاقية والتربوية.

ذلك فقد قرر الإسلام ثلاث حقائق: وحدة الألوهية، ووحدة الجنس البشري، ووحدة الفكر الإنساني .. ويقرد الإسلام أن كل حضارة لا ترتكز على التوحيد والعدل والأخلاق هي حضارة زائفة.

ومن أهم ما دعا إليه الإسلام المطابقة بين الكلمة والسلوك .. والحرية في مفهوم الإسلام هي التحرر من قيد الوثنية والجهل والخرافة والتقييد.

\* \* \*

أقام الإسلام قاعدة النظر في الأمور .. يقول الإمام ابن تيمية: «لابد أن يكون مع الإنسان أصول كلية يهد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل ثم يعرف الجزئيات ولا يبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات .. فيتولد فساد عظيم».

الأصول الثلاث هي: الكتاب والسنة والإجماع ..

على هذه الأصول يوزن ما عليه الناس من أقوال وأعمال بأمانة أو ظاهرة بمعاهدة تعليق بالدين.

ويقصد الأعداء بـ*بایراد الشبهة* (تبييض الحق على المسلمين) لأجل إفساد دينهم حسداً منهم أو لاغراض أخرى. وتنجلى شبهة دعوة (*الضرورة*) في كثير من المسائل عند كثير من الناس في حالين: الحالة النفسية فتقل الطاعة في نفوسهم وينعدم الصبر، وتتجدد النفس راغبة إلى ما تهواه.

إذاً ما تبيّنت المسألة التي وقعوا فيها واتضح أنها ليست ضرورة كما زعموا فلا تجدهم يرجعون إلى طلب الحق فيها .. ويفتقرون التمسك بالحق جحوداً أو تأثراً أو تشديداً أو تعقيداً.

\* \* \*

## ١٢ - حول مفاهيم العقل والوجودان

قاعدة الإسلام الأساسية تكامل العقل والوجودان في بناء منهج المعرفة وفي بناء الإيمان، والعقل في الإسلام مناط التكليف.

وفي نفس الوقت فإن العقل يسير تحت ضوء الوحي وعلى وجهه.

ولا تناقض في الإسلام بين العقل والوحي (إن صريح العقول لا يمكن أن يناقض صريح المنقول) وإن العقل بدون وحي لا يستطيع أن يهتدى إلى الحق.

ولقد كان المسلمين موقفهم من الفلسفات اليونانية عندما ترجمت .. هو موقف الحذر والدفاع عن ذاتيتهم، ولم يكن كما يدعى البعض موقف التقبل والتبعية .. وقد فصل في هذه المسألة منذ وقت طويل.

فليس صحيحاً أن هذه الفلسفات أعطت أو أضافت .. فقد كان للمسلمين قبل ترجمتها منهجهم الخاص الذي اكتمل بعد اختيار الرسول ﷺ للرفيق الأعلى.

وحضارة الإسلام لم تكن حضارة عقلانية بمفهوم الغرب أو من ثمرات فكر اليونان أو الفرس والهنود .. ولكنها حضارة قامت على منهج القرآن (قل انظروا) ، « هَأْتُوا بِرُهْمَانَكُمْ » . قامت على منهج التجريب وصححت أخطاء اليونان وحررت المفاهيم فجعلتها خالصة لله تبارك وتعالى، وحطمت عبودية الوثن وعبودية الإنسان .. وكان مفهوم المعرفة جاماً بين القلب والعقل.

فليس في الإسلام ما يسمى سلطان العقل، وليس هناك ما يسمى (الإسلام الدين) ولا يمكن أن تسمى نصوص الإسلام (مأثورات) فهذه كلها كلمات وادعه وضعفت لتجربة الغرب مع المسيحية.

ذلك فإن من خطأ القول: إن القرآن معجزة عقلية تتوجه إلى العقل وحده؛ لأن القرآن يتوجه إلى كل ما يملكه الإنسان من قدرات.

## ١٣ - حول منهج الإسلام في بناء الثقافة

أولاً: الإسلام أعطى المسلم أمرين:

١- لفت نظره إلى الحركة (حركة الليل والنهر).

٢- علمه قيمة الزمن.

وعلمه أن الحقيقة لا تأتي عن طريق العقل وحده ولا عن طريق الوجдан وحده ولكن عنهما معاً، وأن التغيير لا يأتي عن طريق الصراع بل عن طريق التضحيّة والفداء والإيثار والبذل.

وبحذر من الخلط بين التوكل والتواكل، فالتوكل إرادة وعمل .. وعلمه تكامل القديم وال الحديث، ودعاه إلى الجمع بين الثواب والمتغيرات .. والإنسان يبدأ في مرحلة العزنية ثم يدخل مرحلة التكامل .. يبدأ بالأنانية ثم يحول الإسلام إلى الغيرية، مضحياً في سبيل الجماعة، يؤثر على نفسه، ويوقى شع نفسه، ويكون من الكاذمين الغيظ والعافين عن الناس .. وعلمه أن يكون ضد هوى نفسه، ومع العدل لا مع القرابة، ومع الحق لا مع نصرة الأهل.

\* \* \*

ثانياً: الإسلام أعطى المسلم القدرة على التعامل مع سنن الله الكونية، ودعاه إلى فهم هذه السنن وحسن استخدامها وتسييرها والتعامل معها وعدم الارتمام بها، إن السنن التي أدار الله عليها شئون العالم هي سنن مكتينة وقد أخضع الله أنبياؤه لها.

إن منطق العبودية يقتضي أن أنظر إلى أقدار الله تعالى على أن هذه القدر أرشد من تفكيري ومن خططي. وقد دعانا الإسلام إلى إسلام الوجه لله والاستسلام لمراد الله تعالى وأن نستريح إلى نتائجه .. ودعانا في الوقت نفسه إلى

مغالبة نواميس الكون. وتعني إرادة الله التي يجب أن يخضع لها المسلم ويعلم من إليها: أن معنى الصبر واليقين أن الأمر يحتاج إلى زمن وأن استعجال الزمن خطأ ومن قوانين الله الكونية أن أعمل وأنا موقن بنصر الله، (محمد الغزالى).

**ثالثاً:** أعطى الإسلام المسلمين: الحفاظ على الذاتية الخاصة من الانصهار في الحضارات والأمم: إن شغل الإسلام الشاغل لم يكن السعي في سبيل شخصية حضارية بل الرغب بالسماح لشخصية الإسلام الحضارية أن تنبو ويتلاشى في شخصية حضارية أخرى، هذا الرغب بالذات هو الذي مكن الجزائريين من الصمود في وجه الاستعمار الفرنسي، هذا الرغب هو الذي وسع للمسلمين أن يصدوا في وجه أكثرية عددها أربعة أضعاف عددهم وأعطائهم أن يقيموا دولة جديدة مبنية من رحمة الإسلام وروحه .. وكذلك استمر سكان شبه القارة الهندية المسلمين قروناً متواتلة في إصرارهم على أنهم يختلفون عن جيرانهم الهنود.

**رابعاً:** الأصلة الفكرية تعني القدرة على حماية كل ما يتلائم مع روح الإسلام وترك كل ما هو دخيل لا يتلائم مع جوهرها ثم القدرة على الأخذ والافتتاح على الفكر الإنساني والتلور العلمي.

**خامساً:** انتصر المسلمين والعرب في كل مواجهاتهم مع الأعداء والغزاة بالمعنى الإسلامي لا بالمعنى القومي، وكل قضياتهم التي عالجوها بالمعنى الوطني والقومي قد أخفقت تماماً فإن المفهوم الإسلامي هو الذي صهر المغول في بوتقة الإسلام، في عين جالوت كانت الصيحة (لإسلامكم) وفي العرب الصليبية، وفي كل مكان كانت جمعية العلماء والرابطة السنوسية والسلفيون والصوفية والازهريون قادة الجهاد والمقاومة الحقيقة.

**سادساً:** أعطانا الإسلام مفتاحين للتحرر من الأزمات والاحتواء هما «التغيير والإعداد» ..

«إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ» ..

«وَاعْلُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ» ..

التغيير يمتد إلى كافة الساحات وسائر المكونات .. إن تأكيد الإنسان على حركة التغيير يعني أنه يمنع الإرادة البشرية قدرتها على ضياغة المصير، وفي التشبث به، واستعادته إذا أفلت وليس التغيير روحياً أو أخلاقياً أو سلوكياً فقط وإنما هو في إعادة تشكيل العقل المسلم .. فيكون قادراً على استيعاب المتغيرات وتطوير الحياة الإسلامية وحمايتها من التفكك والعنوان. والإعداد يأتي بعد التغيير ..  
(عماد الدين خليل) ..

\* \* \*

## ٤ - في مفاهيم التاريخ الإسلامي

إن الرعب الذي نزل كيان الأكاسرة والقياصرة وغيرهما لم يكن مصدره كثرة عدد أو عدة لدى المسلمين بقدر ما كان إظهار الاعتزاز بالله وتوثيق العرى به والاطمئنان إليه والتوكيل عليه مما أغراهم بالاستشهاد وحثّهم على استعمال لقائه وزهدهم في كل شيء من أجل رضاه.

\* \* \*

لم يكن لقب «الموالي» لدى الأمويين يدل على أنهم أدنى من العرب منزلة أو أقل شأنًا كما يزعم بعض المتأخرین من المؤرخين الذين يأخذون بأقوال من أساوا إلى الدولة الأموية بعد زوالها من الشیعین وغيرهم. فليس بدعاً أن يلقب الأمويون غير العرب من المسلمين بالموالي، وإنما كان هذا على نهج ما قام به رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ من تقييّب أهل المدينة بالأنصار بعد الهجرة .. وكلمة الموالي ترافق كلمة الأنصار، في دلالتها وأهدافها وإن اختلفت النظرة بعد ذلك، فهم لم ينظروا إلى الموالي على أنهم دون العرب جنساً أو لغة بل إخوة في الدين وأنصار في الإسلام.

\* \* \*

إن مصدر اهتمام المستشرقين بالتاريخ الإسلامي هو دراسة نفسية هذه الأمة ليكيقوا موقفهم منها أو يدرسوا مقومات قوتها بهدف العمل على القضاء عليها وتحطيم قدرتها على المقاومة حتى يستمر نفوذهم منشوراً وهم في كل ما كتبوا قد عدوا إلى وضع الإسلام وتاريخ الإسلام في قفص الاتهام.

\* \* \*

يقرر الإسلام للبطولة مفهوماً يحررها من التجسيم والوثنية فهو يخلد الأعمال بالذكر وإحياء الفكر ويقرر قيم الناس بأعمالهم لا بأحسابهم، ولذلك فقد قال

أبو بكر يوم اختار رسول الله الرفيق الأعلى: «من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد  
مات ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت».

ويختلف المسلمون هنا مع غيرهم من أصحاب الثقافات في مفهوم البطولة  
وتخليلها .. ولا يرى أن الأسماء المشهورة تمثل بطولة، ولكن العمل نفسه هو  
مقاييسها وميزانها وقد يحظى أصحاب الفضل بخمول الذكر في عصور الوهن ..  
ولكن خمول الذكر لا يعني خمول القدر، والشهرة المدوية ليست مقاييساً للبطولة.

\* \* \*

إن المراجعة العميقـة لـتـاريـخ الإـسـلام ووـاقـع المـسـلـمـين الـيـوـم تـثـبـت بـكـل دـلـيل أـن  
ضعفـ المـسـلـمـين وـتـخـلـيفـهـم قـد جـاء نـتـيـجـة تركـ مـفـهـومـ الإـسـلامـ الحـقـيقـيـ، وـالتـشـبـثـ  
بـمـجـمـوعـةـ منـ المـفـاهـيمـ الـبـاطـلـةـ الـتـي تـغـلـبـ رـوحـ الـعـصـرـ وـتـخـذـلـ منـ الـتـجـارـبـ الـفـرـيقـيةـ  
منـطـلـقاـ لـمـفـاهـيمـ زـائـفةـ بـيـنـما لـدـىـ الـمـسـلـمـينـ مـقـايـيسـهـمـ وـقـوـانـينـ النـصـرـ عـنـهـمـ وـسـنـ  
قـيـامـ الـجـمـعـاتـ وـالـحـضـارـاتـ، هـدـاـمـ إـلـيـهاـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ.

\* \* \*

لقد صحت نظرية ابن خلدون في أن المسلمين والعرب لا يحصل لهم الملك إلا  
بصيغة بنية من نبوة أو ولادة أو أثر عظيم .. ومن هنا صع أن أهل هذه المنطقة  
لا يقاون إلى أية نهضة أو إصلاح إلا في ظل مفهوم الإسلام الجامع الصحيح.

\* \* \*

## ١٥ - حول مفاهيم المجتمع

قرر الإسلام أن المجتمع الإسلامي كلّ متكامل، يحمل الأقوياء فيه الضعفاء وقد ركز على اليتامى والضعفاء والمرضى والمساكين ونوى الحاجة والعلة وجعل أمر حمايتهم ورعايتهم حقاً مفروضاً على المجتمع كله، وبذلك عارض الإسلام مفهوم الانتخاب الطبيعي وعبودية الامبراطوريات الرومانية والفارسية والفرعونية وحطم مفهوم الدعوة إلى إبادة المرضى والضعفاء أو تعقيم الفقراء.

\* \* \*

إن دعوة الإسلام لتحقيق الرغبات الحسية عن الطريق المشروع بالزواج وتحريم الزنا، لا تنبئ من كرامية الجنس بل من احترام له وتتنزيهه عن العبث وارتفاع بالمرأة عن أن تكون أداة لمعنة الرجل .. ولا ريب أن في إقرار حدود الله ما يحول دون المحظوظ وقد أمر المسلمين بالتعفف إذا ما عجزوا عن الزواج.

\* \* \*

نظر الإسلام إلى الجنس نظرة الفطرة وحررها من تعقيبات الرهبة والرياضيات القاسية وأعلن أن الرغبات من طبيعة الإنسان التي لا سبيل إلى الوقف في وجهها .. ولكنه حررها من الإسراف والإفساد ووضع لها ضوابط من الحال والاعتدال والعفة.

ولذلك عجزت (أزمة الجنس) أن تجد لها مجالاً في محيط الإسلام، لأنها لم توجد أصلاً، ووُجدت في العقائد والأفكار الأخرى التي وقفت أمامها موقف الإلغاء أو الاستسلام بغير حند.

وفي أوروبا انقلت الدعوة من القسر الشديد إلى رد فعل بالإطلاق الشديد، أما الإسلام فقد أعلن وجود الرغبات في الإنسان من مال وطعام وجنس .. ولكنه

وضعها في إطارها الصحيح ولم يجعل الطعام قضية تفوق القضایا أو تسيطر عليها .. ولم يجعل الجنس قضية القضایا، ولكنه جعل الحياة متكاملة في عناصرها متوازنة في رغباتها وحذوها بعيداً عن الزهادة والسرف، وعن الرهبة والتحلل، وعن الإطلاق والكبت.

مفهوم الإسلام في الغرائز والرغبات يقوم على التحقيق في حال القدرة في حدود قواعد الزواج، أما في حالة عدم القدرة فنقوم على التسامي والإعلاء بون أن تفقد هذه الرغبات حقها المعترف به في حالة الاستطاعة. وأقام الإسلام إلى جانب ذلك نظام الطهارة الجسدية والنفسية وأباح المصادر الشريفة في المال والطعام والجنس كما أباح ظروف الاضطرار وعفا عنها.

\* \* \*

حمى الإسلام الأمومة .. والأم في صور متعددة، اختصها بنصيب من الميراث ينکافأ مع مسؤوليتها المادّة فجعلها مكفولة العيش قبل الزواج وبعده .. وجعل لها حق الاعتراض على من هو أقل منها منزلة رعاية لها وصونها لكرامتها .. ووضع الإسلام النظم المتعلقة بالطلاق بما فيه حماية للمرأة والأسرة.

\* \* \*

كما رعى حقوق الطفولة قبل الميلاد .. فقد أوصى باختيار الزوجات «تخيروا لنطفكم» وأوجب على الوالدين حسن اختيار اسم الطفل وأن يعلمه الكتابة وأن يزوجه إذا بلغ .. وجعل له السمع والطاعة ما لم يأمر بمعصية.

\* \* \*

## ١٦ - ما يزال الجسم الإسلامي يرفض العضو الغريب

لقد علمنا الإسلام أن نقف من المعرفة المعروضة علينا موقف التعرف الصحيح عليها في ضوء قيمتنا .. فلابد من أن نحفظ كياننا من أن تصبيع هذه المطروحات وسيلة للسيطرة عليه.

لقد رفض الإسلام التطور على حساب الأصالة والقيم الأساسية .. كما رفض تضييع القيم العليا في سبيل التقدم المادي ولم يخضع الإسلام مفاهيمه للحضارات وأهواء الأمم.

ليس في المناهج والنظريات والأيدلوجيات المطروحة من شيء إلا وعند المسلمين مثله أو خير منه وهو هنا مقطوع الصلة بالله تبارك وتعالى ولكن في الإسلام متصل.

وصدق إقبال حين قال: (ال المسلم لم يخلق ليندفع في التيار ويساير الركب البشري حيث سار .. بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية ويفرض على البشرية اتجاهه ويفعل عليها إرادته .. لابد من تطوير الدنيا لأمر الله ونصرة تعاليمه ومقاومة أكابر علل الحضارة الحديثة: عبادة الحياة .. نقول نعم للعلم ولا للحضارة الغريبة بمعناها الوثنية والإباحية .. إن مفهوم المسلم أن الأصالة أساس التقدم والمعاصرة والتجدد).

\* \* \*

لقد كانت كل قيم الإسلام متكاملة قبل أن يختار الرسول عليه الرفق الأعلى وتشكلت العلوم الإسلامية قبل أن يتصل المسلمين بالفلسفات اليونانية والقديمة ولذلك فإن القول بأن المسلمين شكلوا فكرهم في ضوء الفكر البشري السابق لهم أمر مرفوض تماماً.

العقيدة وليست اللغة هي علاقة بناء الجماعة .. فإذا زالت العقيدة زالت الجماعة  
وانحلت وانقرض وجودها.

والعقيدة - كما يقول علال الفاسي - هي منتهى ما تصل إليه الجماعة لحفظ  
كيانها وتحقيق أهدافها الفطرية، في قيام حياة اجتماعية منتظمة متحركة ودائمة،  
وما دامت العقيدة فلين الجماعة تدوم .. فإذا زالت فإن هذه الجماعة تنحل وينقرض  
وجودها.

لا يوجد عامل من عوامل الفناء في الأمم وفي الجماعات إلا وهو ناشئ عن  
ضعف العقيدة أو زوالها .. وقد تعيش المجتمعات بالعوائد الخرافية وقد تعيش  
بالصادق من العقيدة .. ولكن لا يمكن أن تعيش دون اعتقاد بل إن الحضارات  
الحقيقية لا يمكنها أن تسير بغير دين وطاعة ثابتة.

\* \* \*

## ١٧ - حول توبية الأجيال على منهج الله

إن دعوة الإسلام مطالبون اليوم بأن يرتبوا أولوياتهم في ضوء أولويات المبادئ والآحكام في التصور الإسلامي فالعقائد تسبق التكاليف وأساسيات الأخلاق والسلوك تسبق الآداب.

على الدعاة إلى الله أن يقيموا منهج الله تبارك وتعالى في بناء الأجيال الجديدة على النحو الذي رسمه رسول الله ﷺ .

ولقد رسم الإسلام للنشء في الإسلام منهجاً جاماً يقيم على تربية جسمه وعقله وروحه، وقد حقق هذا المنهج نتائج عظيمة، حيث أجيال المسلمين من التحديات التي كانت دائمًا تتربص بهم.

وعلينا أن نعرف مدى الفوارق العميقة بين منهج الإسلام في التربية وبين النظريات الحديثة التي تركز على الجوانب المادية في كيان الإنسان متغاملةً أشواق الروح، ومن أجل ذلك لم تستطع أن تخفف من أعبائه، بل زادته شقاء.

وعلينا أن نعرف أن أسلوب التربية في كل أمة ينبع من عقيدتها وحياتها وتطلعاتها، وأن الإسلام صاحب رسالة عالمية شاملة تخاطب الناس في كل عصر ومصر، فهي إن ت الخضع في تتشتت أفرادها لأهداف رسالتها السامية ومن ثم برزت من العيوب التي تم خضعت عنها المذاهب الشيوعية والرأسمالية حين حضرت أهدافها المادية في دائرة ضيق فلم تنجح في إسعاد الإنسان.

وقد ركز الإسلام على الأم دورها في بناء الطفل وأنها هي التي تزوده بالعواطف والمشاعر وتؤمن له طبيعته، وقد كشفت البحوث في الغرب عن أن أغلب وجهة الجرائم في الشباب مصدرها نقص الحنان الذي تقدمه الأم في السن الأولى، وأن دور الحضانة لم تتحقق إلا مزيداً من خلق طفل متمرد ساخط.

كذلك فقد كشفت الابحاث العلمية عن أهمية وجوب إرضاع الأم لطفلها من ثديها، فضلاً عن دعوة الإسلام إلى حسن اختيار الآب للأم وحسن اختيارهما لاسم المولود.

\* \* \*

وتميز النظرة التربوية الإسلامية عن سائر النظريات التربوية بهدفها الواسع في تطور الكائن البشري بما يحقق معنى (المواطنة الصالحة) والانتماء وهو ما تقصّر عنه النظريات التربوية الغربية وتركز التربية الإسلامية على (عالية - مجانية - استمرارية) التربية في المجتمع وتسرّعها نحو خير المجتمع وسعادته. ولأن النظرة التربوية الإسلامية قرآنية ريانية أساساً فهذا هو مصدر قدرتها على تحدي الأعاصير التي حاولت اقتلاع جذرها من المجتمع الإسلامي وكيف بامت هذه المحاولات بالفشل.

فللتلasmus التربوي الإسلامي قدرته الفائقة على تلبية الاحتياجات القائمة والمنتظرة للمجتمعات المسلمة.

\* \* \*

وقد قامت التربية الإسلامية على قاعدتين:

١- تربية العقل وتحريره من الضلالية الفكرية.

٢- تربية النفس وتحريرها من الأهواء.

وفي الأول إقناع العقل بالدليل وفي الآخر إقناع القلب باليقين.

وفي مفهوم التربية الإسلامية مستويان:

١- مستوى القيم الثابتة.

٢- مستوى التغيير الزمني والبيئي

وكل حدوده وضوابطه ..

هذا المفهوم المتميز، هو الذي حاول النفوذ الأجنبي إسقاطه وتجاهله وطمسه،  
لقد كان الإسلام عاملًا على بناء الإنسان المسلم على نحو يجعله عزيزاً كريماً لا  
يقبل الذل ولا يخضع ولا يكن عبداً إلا لربه تبارك وتعالى.

لقد ربي الإسلام معتقديه على الاعتزاز بكرامتهم وعلى الإيمان بأنهم خلقوا  
ليحققوا وجودهم فوق هذه البسيطة وليركزوا مكانهم تحت الشمس، سادة لا  
يقبلون المذلة، فإذا ذلك فلم يكن الإسلام يوماً حليف الطغية أو الظلم.

وفي العصر الحديث فإن الإسلام هو الذي استطاع أن يحدّد العرب والمسلمين  
من رق دول الاستعمار ذات العدد والعدد، رغم أنه لم يكن للمسلمين مورد ولا  
سد غير الله، وإن قوتهم الأساسية التي واجهوا بها النفوذ الغربي المتسلط هي  
قوة الروح والفكر والعقيدة .. وعلى الإسلام أن يكون اليوم عامل تقدم بعد أن كان  
عامل تحرر.

\* \* \*

وعلى الدعوة أن يرفعوا بالناس في سوقهم إلى الله تبارك وتعالى .. ويجب أن  
يكون الدعوة إلى الله عارفون بالتغيرات التي تجري من حولهم زاهدون في زخرف  
الحياة الدنيا وفضل العيش، قدوة حقيقة حتى يجدوا من الناس استجابة لهم.

فالزمد في التطلع إلى مطامع الحياة يكسب الداعية إلى الله قوة المقاومة  
والاستهانة بأمر المادة، والثبات على الحق الذي يدعو إليه .. ولا يصح الاقتصار  
على تحريك الإيمان وإثارة العاطفة في نفوس الناس بل يجب أن تضم إليها تنمية  
الوعي الصحيح وتربيتها والفهم للحقائق والقضايا وعدم الانخداع بالشعارات  
والظاهر.

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْتَ رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ فَمَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْنَوْا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرٌ نَا

وَلَا مُبْدِلٌ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ، وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مِنْ نَبَأِ الرُّسُلِينَ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى  
الْهُدَى فَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝ ..

إن أخطر ما يصيب الدعاة أن يتبعوا النصر فيطلبوه من غير سبيله أو يسعوا  
إليه من غير بابه .

\* \* \*

## ١٨ - قضية تكامل القيم في الإسلام

تعد قضية تكامل القيم في الإسلام أخطر القضايا في المواجهة مع الفكر الغربي الذي يؤمن بالانشطارية والتجزئة ويفصل بين القيم ويرى أنها من المتناقضات التي لا يمكن أن تتلاقى.

وهذا هو أخطر الفوارق العميقة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي وله آثاره البعيدة في المجتمع والحضارة والعلوم والتربيـة.

أساساً فإن الفكر الإسلامي يختلف عن غيره في أمور أساسية:

أولاً: في النظرة إلى الله تبارك وتعالى وإلى الكون وإلى الإنسان.

\* فالله هو الواحد الأحد المالك والذي إليه ترجع الأمور.

\* والكون وجد بالحق ليقدم فيه الإنسان ثمرة عمله من أجل إقامة المجتمع الريـاني.

\* والإنسان مستخلف وسيد ومؤثر ومسئول ومحاسب ومجني عليه إرادة وله التزام أخلاقي.

ومن هنا جاءت قدرة الإسلام على التوفيق بين العلم والخلق، بين العمل والإيمان، بين الطبيعة وما وراء الطبيعة .. ويقيم التوازن بين القيم الروحية والقيم المادية.

لقد انحرفت اليهودية إلى الفردية الطاغية وانحرفت المسيحية إلى الروحية النافرة من الدنيا وبقي الإسلام وسطاً يجعل الفرد متفاعلاً مع المجتمع والمجتمع متفاعلاً معه.

ونتيجة لتكامل الإسلام فإنه لا سبيل إلى فهم إلى قطاع منه على حدة، فلا بد

من ترابط القطاعات كلها التي تتكامل ويتساند.

ونتيجة لتكامل القيم في الإسلام أقام التوازن بين: الجانب الروحي والجانب المادي .. الجانب العقلي والجانب الوجداني .. الجانب الفردي والاجتماعي.

الفرض من هذا التوازن إرضاء جميع تطلعات الفرد الروحية والوجودانية دون أن يؤثر ذلك في سير الحياة البشرية من حيث ضرورة التوازن بين القوى وبين تحكم النفس الإنسانية.

فهو يقر العبادة مع عدم الإيفال فيها إلى الرهابانية. وهو يدعو إلى الزهد والتوكيل على الله مع السعي في الدنيا ومن هنا فإن الاتجاهات الروحية أو المادية التي ظهرت خلال التاريخ الإسلامي لم تستطع الاستمرار والبقاء؛ لأنها أوغلت في جانب من جوانب التوجه الإسلامي فانحرفت عن الخط الفكري والسلوكي الذي رسمه الإسلام، كالاعتزاز في تبني المنهج العقلي والتتصوف في تمثيل المنهج الروحي وكل الاتجاهين منفصلاً عن التكامل الإسلامي - هو انحراف عن المنهجية الإسلامية بمقدار إخلائه بمبدأ التوازن.

\* \* \*

لقد ربط الإسلام بين المعرفة القائمة على العقل والمعرفة القائمة على الوجود، حيث يلتقي العقل المؤمن مع الوجود الصادق .. ويقرر الإسلام ترابط التقدم المادي مع التقدم المعنوي.

وال تاريخ يبين لنا أن الأمم التي أخذت بالوسائل المادية وحدها، لابد أن تتৎكس انتكاسات كبيرة. ولقد سقطت الحضارات الكبرى الرومانية والفارسية والفرعونية نتيجة تحللها من الترابط بين القيم وسقوط البعد الرباني والبعد الأخلاقي.

وهذه الحضارة المعاصرة تدخل الآن مرحلة الانهيار؛ لأنها تخالف قاعدة التكامل، فالإسلام دعوة إلى التقدم في إطار الربانية والأخلاق..

ويقدر الإسلام ثلث قيم أساسية:

توازن: بين الفردية والجماعية .. ملائمة: بين العقل والقلب .. مطابقة: بين الكلمة والسلوك.

والإيمان بالله يعني الاعتقاد الجازم بقاعدة أساسية تسيطر على القلب والعقل في آن واحد، أما المعرفة فهي العلم بالشيء دون الإيمان به.  
والعاطفة تعطي الفكرة قوة وإنسانية وحيوية.

ومن الضروري استواء الفكر والعاطفة بحيث لا ينفصلان وكلاهما ضروري ومتكامل .. العاطفة مضيئة بأنوار الفكر، والفكر مشوب بحرارة العاطفة.  
والملمون لهم عقول في أدمغتهم، ولهم قلوب في صدورهم .. وخير العلم ما نفذ من العقل إلى القلب كما قال الإمام الغزالى.

والإسلام دين جامع: يضم العقيدة والشريعة والأخلاق .. فالعقيدة هي معرفة الله سبحانه عالم الغيب والشهادة .. والشريعة هي تنظيم الحياة والمجتمع .. والأخلاق هي معرفة الخير والشر والحق والباطل، والفضيلة والرذيلة.

وفي المناهج الغربية قوى ثلاثة: عامة تبحث عن الأشخاص وأنصاف المتعلمين يبحثن عن الحوادث وعلماء يبحثون عن المثل العليا .. ويجمع القوى الثلاث فيما وصفه الإمام الغزالى بال العامة والخاصة وخاصة الخاصة .. حيث يجمع المسلمين بين النظرة إلى الأشخاص، والأشياء، والمثل العليا مقدمين النظرة الكاملة الجامعية.

ولقد أعطى الإسلام لتكامله وسماحته القدرة على التوفيق ببراعة بين القيم المواجهة، التي يراها الفكر الغربي متناقضنة، ويوازن بينها.

\* \* \*

## ١٩ - الترابط بين القيم قاعدة الأساس

أخطر ما واجه الفكر الغربي من التحدي هو تمزقه بين القيم .. بينما يجمع الإسلام بين القيم.

يفرق الفكر الغربي بين الهيكل والمضمون .. والظاهر والباطل .. والإرادة والوجود .. والروحي والمادي.

وقد أحدثت فكرة ديكارت في الفصل بين الإرادة والوجود انقساماً جوهرياً بين الموجود والماهية في كل الفلسفة الغربية حتى جاء سارتر فقلب المازين وقال بأن الوجود يسبق الماهية.

أما الإسلام فموقفه مختلف .. فهو لا يرى سبق الوجود للماهية أو الماهية للوجود أو الوجود للإرادة بل نرى أن الوجود هو نفسه الإرادة وكلهما بدبيبة أولية واحدة، يتلقفها العقل والوجودان في آن واحد وفي لحظة واحدة حيث لا يمكن أن ننظر إلى العالم المادي على أنه منفصل أو متناقض للعالم الروحي، أو أن عالم الإرادة ينافق عالم الوجود كأنهما منفصلان.

وبهذه النظرة لا يكون لدينا أي إحساس بالثانية أو الازدواج وهو ما عانى منه الفكر الغربي .. فالحياة في مفهوم الإسلام وجود وإرادة معاً، والناظرة تتکامل بالعقل والوجودان معاً، والإرادة هي قوة الحركة في الحياة والإرادة غير منفصلة عن الوجود.

\* \* \*

لقد قرر القرآن مبدأ الترابط بين القيم كدعامة أساسية .. وآية **«ما تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَقْوَىٰ»** . يعني أن العالم مترا貼ط بعضه مع بعض، ومبدأ الترابط هو قاعدة قانون الثواب والعقاب، والوسطية، والتكامل الجامع والنظرة الواسعة التي تعرف أبعاد الأمور وخلفياتها.

أقام الإسلام منهج المعرفة على أساس (الثوابت والمتغيرات)، وبذلك عقد رباطاً حاسماً بين القيم الثابتة التي هي حقيقة الإسلام وقوام العقيدة وبين العمل البشري المتمثل في صورة المجتمع من ناحية وحركة التاريخ من ناحية أخرى.

فإلا إسلام لا يقر الفصل بين العلم والعمل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْلِئُونَ + كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ» فكل علم وكل عقيدة لابد من مفعسيه إلى حركة وعمل وتغير، ومع اتصال الحركة تبقى القيم ثابتة على مر العصور لا يغتربها تغير، ويبيق عمل الإنسان الذي هو بمثابة حركة التاريخ موضع النظر في اقتراحه أو ابتعاده عن الثوابت الأساسية.

والقيم الأساسية ثابتة في جنورها، ومتغيرة في فروعها، فالإسلام يفسح في إطارات القيم حتى يجعلها مرنّة وقدرة على التجاوب مع العصور والبيئات، دون أن تخضع لأنحرافات المجتمعات أو سلبياتها التي تخرج على الضوابط الأساسية والحدود الكبرى.

والأخلاق في الإسلام قيمة ثابتة متصلة بالعقيدة من ناحية ومتصلة بثبات فطرة الإنسان وتكونه على مدى العصور، ومفاهيم هذه القيم لا تتغير، وهناك فارق بينها وبين التقاليد التي تتغير مع الأزمنة والبيئات والتي هي من صنع المجتمعات.. وتحلني نظرة الفكر الغربي حين تقول: إن الأخلاق هي التقاليد .. وفارق بينهما.. وليس صحيحاً أن القيم الثابتة الأساسية مفروضة على الإنسان، ولكنها في الواقع هي ميزان حياته، فلو عارضها وخالفها لاحس بالتمزق والغرابة والضياع .. فعلى المسلم أن يكيف رغباته وسلوكياته تكييفاً إيمانياً واعياً مع سنن الحياة التي وضعها الخالق (عز وجل) وأن يجري في نطاق الوجهة التي حددتها الله تبارك وتعالى ولا يعارضها ولا يخرج عن الحضور والضوابط.

أعطى الإسلام النفس الإنسانية الانتداب، وحال بينها وبين الاغتراب .. وأعطى

النفس الإنسانية اليقين وحال بينها وبين التمرق .. وبذلك شكل الوجдан الإسلامي على نحو من الإيمان بالله تبارك وتعالى، يحول بين وقوع الجريمة وفق طريقة الإسلام في مكافحة الجريمة، وهي منها قبل أن تقع بمصادرتها في زوايا النفس ومجال الضمير، وقبل أن تصل إلى مرحلة العقاب.

\* \* \*

## ٢- حول الثوابت والمتغيرات

**أولاً: قاعدة ثبات السنن الإلهية:**

أكد القرآن الكريم ثبات السنن الإلهية و恒ميتها وعدم تخلفها .. وهي تشمل القوانين الطبيعية والكونية .. وهذا يعني أن القرآن الكريم يقيم للتاريخ اعتباراً كبيراً فهو حججية التجارب الإنسانية الطويلة التي ينبغي أن تتوجه إليها الإرادة الإنسانية لاستفادة الدروس وال عبر، واكتشاف السنن التي تحكم تصرفات الناس وسير التاريخ خلال الزمن الطويل.

**وستة الله تبارك وتعالى تقام في ثلاثة ميادين: التراو، والتسخير، والتعارف.**

والهدف من التراو: السكن والرحمة لا الصراع والتضاد.. والتسخير بمعنى تسخير الكون للإنسان وتقسيم العمل بين الناس .. والتعارف القائم على الرحمة لا الصراع.

وقاعدة ذلك أن التباين يتم به التراو وتسخير وتعارف لتشيع الرحمة لا الصراع، هذه الرحمة التي تنطلق في جنبات النفس الإنسانية بطاقة الله.

**ثانياً: قاعدة الثبات في الإسلام، ترابط مع قاعدة التغيير .. وتقوم الحركة في إطار الثوابت.**

فالثبات في الإسلام على الأهداف والغايات العليا، ثبات الأصول والمنطلقات والرونة في الوسائل والأساليب، والفرع والجزئيات .. وتعود قاعدة الثبات إلى ثبات جوهر الإنسان منذ عهد آدم إلى اليوم، وتغيير أساليبه ووسائله (الأكل، الشرب، النوم، المطامع، الرغبات، الملابس، جمع المال).

فإِلَسْلَام يُجْمِعُ بَيْنَ الْمَرْوَةِ وَالْتَّطْوِيرِ، وَتَحْقِيقِ التَّوازِنَ بَيْنَ الْقِيمَ ثَبَاتٍ فِي الْكُلِّيَّاتِ وَالْجُوهرِ، وَتَغْيِيرٍ فِي الْجُزْنِيَّاتِ وَالْمَظَهُورِ .. وَلَا كَانَ التَّطْوِيرُ قَانُونًا قَانِمًا فِي الْكُونِ وَالْحَيَاةِ .. فَالثَّبَاتُ قَانُونٌ قَانِمٌ أَوْسَعُ دَائِرَةً بِلَا مَرَاةً ..

وَالرَّسَائِلُ السَّمَاوِيَّةُ تَمْثِيلُ الثَّبَاتِ، كَانَتْ قَبْلَ إِلَسْلَامٍ لِعَصْرٍ أَوْ لَامَةٍ بَعْينَهَا، أَمَا إِلَسْلَامٌ فَجَاءَ عَالِمًا لِلنَّاسِ كَافِةً.

وَثَبَاتُ الشَّرِيعَةِ إِلَسْلَامِيَّةِ يَحْوِلُ بَوْنَ فَنَاءِ الْجَمَعَمِ أَوْ نُوبَانِهِ فِي الْجَمَعَمَاتِ الْأُخْرَى أَوْ تَفَكُّكِهِ .. فَهِيَ تَقْوِيمٌ عَلَى أَسْسٍ رَاسِخَةٍ لَا تَعُصُّ بِهَا الْأَهْوَاءُ وَالْتَّقْلِيدَاتُ السِّيَاسِيَّةُ وَالاجْتِمَاعِيَّةُ، وَبِالْمَرْوَةِ يَتَكَبَّرُ الْجَمَعَمُ مَعَ الْعَصْرِ وَالْبَيْتِ بَوْنَ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ ثَوَابِتِهِ الْأَسَاسِيَّةِ.

\* \* \*

وَالثَّبَاتُ فِي الشَّرِيعَةِ يَتَقَرَّرُ فِي الْمَصَادِرِ الْأَصْلِيَّةِ النَّصِيَّةِ الْقَطْعِيَّةِ لِلتَّشْرِيفِ، وَتَجَلِّي الْمَرْوَةُ فِي الْمَصَادِرِ الْإِجْتِهَادِيَّةِ الَّتِي اخْتَلَفَ فِيهَا فَقَهَاءُ الْأَمَةِ فِي مَدِى الْاحْتِاجَاجِ بِهَا.

وَيَتَمَثَّلُ الثَّبَاتُ فِي الْعَقَادِ الْأَسَاسِيِّ الْخَمْسِ: الإِيمَانُ بِاللهِ تَبارُكُ وَتَعَالَى، وَكُتبِهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.

وَمِنْ شَرَائِعِ اللهِ الْقَطْعِيَّةِ: الزَّوْجُ، وَالْطَّلاقُ، وَالْمِيرَاثُ، وَالْحِدُودُ، وَالْقَصَاصُ، وَمِنَ الْأَرْكَانِ الْعُلَمَىِ الْخَمْسِ: الشَّهَادَةُ، وَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحِجَّةُ الْبَيْتِ.

وَمِنَ الْمُحْرَمَاتِ الثَّابِتَةِ: السُّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَالْزِنَا، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتَمِّ، وَقَذْفُ الْمُحْسَنَاتِ، وَالتَّوْلِيُّ يَوْمَ الزَّحْفِ، وَالْغُصْبُ، وَالسُّرْقَةُ، وَالْفَحْشَةُ، وَالْنَّمِيمَةُ.

هَذِهِ أَمْرَوْنِ ثَابِتَةٌ تَنْزُلُ الْجَبَالُ وَلَا تَنْزُلُ.

\* \* \*

وكليات الدين وقواعد ال الأساسية: كلية أبدية وضعطت عليها الدنيا، وبها قامت مصالحها في الخلق.

وفي جانب المرونة تجد جزئيات الأحكام وفرعها العملية .. وهناك نوع من الأحكام (أي: الفتوى) يتغير بحسب التضياء المصلحة زماناً ومكاناً وحالاً، كوسائل التعزيز وأجناسه وصفاته، فإن الشارع ينبع فيه حسب المصلحة.

\* \* \*

والثبات يتمثل في قوله تعالى:

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ .

﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ إِنْ تَحْكُمُوا بِالْعُدْلِ﴾ .

﴿لَا يَتَّخِذَ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أُولَيَاء﴾ .

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾ .

ويتمثل المرونة في قوله تعالى:

﴿إِلَّا أَنْ شَفَعَا مِنْهُمْ نَّقَاء﴾ .

﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَبْلَهُ مُطْمِنٌ بِإِيمَانِ﴾ .

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهَرُ بِالسُّوءِ مِنَ القُولِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ﴾ .

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغِرٍ لَا عَادِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ .

والخطر أن تتحول الاستثناءات إلى قواعد وتصبح هي الأصل في التفكير والسلوك.

\* \* \*

## ١٣ - سبق المسلمين

أولاً: سبق المسلمين الغرب في إنشاء كثيرة في مجال الثقافة:

(١) سبق المسلمون في إنشاء الموسوعات العامة.

(٢) سبق المسلمين في إنشاء ترافق الأعلام.

(٣) سبق المسلمين في إنشاء منهج التحقيق العلمي.

ثانياً: كشف الباحثون حقيقة لا محيد عنها: أن المسلمين أنصفوا الأديان التي سبقتهم ونظرلها إليها في سماحة ويسر وهذا ما سجله (هاملتون جب) حيث يقول:

إن العرب أول من ألف في الأديان والنحل: لأنهم كانوا واسعى الصدر تجاه العقائد الأخرى، وحاولوا أن يفهموها ويدحضوها بالحجج والبرهان، ثم إنهم اعترفوا بما أتى قبل الإسلام من ديانات توحيدية ويحظى ابن حزم هنا بالنصيب الأوفر».

ثالثاً: إن الإسلام هو الحد الفاصل بين فترتي التاريخ العالمي، وهو الذي أطلع العصر الحديث .. يقول فارس الخوري: يقسم العلماء الغربيون التاريخ إلى ثلاثة أدوار: قديم، متوسط، حديث .. ويضعون سقوط الدولة الرومانية المقدسة حداً بين العصور القديمة والمتوسطة، واستنبطوا أن سقوط الدولة الرومانية لا يصح اتخاذه حداً فاصلاً من التاريخ القديم والمتوسط، فقد كان أثر سقوطها عظيماً، وإنما هناك حادثة أعظم كان جديراً بعلماء التاريخ اتخاذها حداً فاصلاً لفترتي التاريخ العالمي، وأعني بذلك ظهور الإسلام».

ذلك هي الحقيقة التي يجب أن تصدر بها كتب التاريخ المعاصر في بلاد المسلمين حتى يتدرك أبناؤنا والاجيال المتصلة بأن أمتهم وقومهم كان لهم دور عظيم في بناء الحضارة الإنسانية وأن هذا المجد وهذا التور لم يكن له إلا مصدر واحد: هو نزول رسالة الإسلام في بيتهن.

رابعاً: إن قيم الإسلام وخاصة فريضة الجهاد وبيع النفس لله، والدفاع عن العرض والأرض، هي التي حركت جماهير العالم الإسلامي وأعطت طاقاته لمواجهة الاحتلال ومقاومة التفود الأجنبي، وكانت مانعة للمسلمين من النوبان أمام الغزو، وكانت دافعة للانتصار والنهوض من جديد.

إن معارك التحرير التي ظهرت تحت اسم الوطنية أو الإقليمية أو القومية كانت مستمدّة أساساً من مفهوم الإسلام.

\* \* \*

## ٢٣ - حقائق أساسية

إن هناك عدد من المصطلحات الوافية يرددوها المسلمون دون أن يلتفتوا إلى إلى مدى الفارق العميق بين مفاهيم الإسلام ومفاهيم الفكر الوافد.

### أولاً: الفرق بين قهر الطبيعة والتسخير الإلهي

خطأ ما يقال من أن الإنسان في عصر العلم قد قهر الطبيعة وذللها وأنه قد أخضع المادة لعنقه وتصرفه وأنه قد صار سيد الكون وأصبح مستغلاً بنفسه قائماً بذاته حتى كتب بعض الغربيين في ذلك والفتوا، كما نجد في كتاب: جوليان هكسلي الموسوم (الإنسان يقوم وحده ولم يعد في حاجة إلى إله يعينه).

ويضربون الأمثلة على قهر الطبيعة بتنوع الصناعات وفنون التعدين واستخدام الطاقة الكهربائية والتلوية وغيرهما، ويشيرون إلى علوم الحياة والتقدم الملحوظ في الإنتاج الحيواني، فالإنسان في نظرهم لم يعد في حاجة إلى انتظار مطر السماء بعد أن فجر ينابيع الأرض.

وهذا كله محض افتراض على الله تبارك وتعالى وعلى منهجه، فقد سخر الله تبارك وتعالى الجبال والأنهار وسخر المعادن فأصبحت قابلة للطرق والتشكيل ولو لا تسخير الله لها لما استطاع الإنسان أن يصنعها، ولو لا أن دماء هذا الكون قوة مدبرة وإرادة مسخرة لما ذلت لنا الحديد ولستنا نحن الذين سخريناه ورتبناه على ما هو عليه فقد أتى علينا حين من الدهر لم نكن شيئاً مذكراً.

ونصوص القرآن في هذا الصدد تصرح بكلمات التسخير والتجهيز والتذليل وهي تتسبب جميعها إلى الله تبارك وتعالى.

## **ثانياً: القوة المادية والقوة الروحية**

من أبرز مفاهيم الفكر الإسلامي التكامل بين القيم الروحية والقيم المادية وليس القوى الإنسانية خيراً أو شرًا في حد ذاتها. بل في طريقة استعمال الإنسان لها، وتأثيرها النهائي، فإذا استخدمت لسعادة الناس وتقدمهم مادياً وروحياً كانت على طريق الله تبارك وتعالى، أما إذا استخدمت لاستعباد الناس فذلك هو شأن الحضارات المادية، ومن هنا يتبيّن أهمية دور الذي يقوم به الدين في حياة الأمة .. فمهمة الدين هي التوجيه الخلقي والروحي.

والإسلام يعطي أهمية كبرى للقوة المادية التي أهملت بعض الأديان أو قلل من شأنها ومن ثم يتطلب ضرورة توفيرها لتقدم المجتمع وحركته.

كذلك يعطي الإسلام أهمية كبرى للقوة الروحية، لقد غالبت اليهودية في تقدير القوة المادية وغالب المسيحية في تقدير القوة الروحية أما الإسلام فهو دين التوازن الذي أقام الحد بين الناحيتين على أساس أن كل منهما عنصر أساسي في الطبيعة البشرية وكلامها لا غنى عنه لنقدم الإنسان وفي غياب أحدهما إفساد الآخر.

ومن هنا كان اهتمام الإسلام بالفرد في المجتمع، وحاجته إلى التقدم المستمر وتحرير طاقاته كلها (فكريّة وخلقية وعملية) لتنطلق في خدمة تقدمه كإنسان وفي خدمة المجتمع ككل.

## **ثالثاً: لا يوجد تضارب بين العربية والإسلام في مجال الفكر**

فعروبة الفكر تعني إسلاميته .. فليس هناك فلسفة عربية في الفكر غير مستمدّة من القرآن وإن محاولة خلق فلسفة عربية معاصرة معزولة عن الإسلام هي محاولة زائفة ولا استمرار لها إلا في الظروف التي تساندها فيها

الدعایات الوافدة. وإن محاولة خلق وجود عربي أو عربية أو فکر عربي على النحو  
العلماني المنفصل عن الإسلام أمر بالغ الاستحاله وبالغ الابتعاد عن الذاتية العربية  
الإسلامية والمزاج النفسي الذي عرفت هذه الأمة.

\* \* \*

## ٢٣- قوانين ثابتة

إن المراجع لنهج الإسلام يجد أن هناك قوانين أساسية متتجدة على الزمن لا تتغير تزكى قدرة الإسلام على العطاء في جميع البيانات والصور:

أولاً: إن هناك قدرة الإسلام الفائقة على تجديد نفسه من الداخل وإعادة صياغة فكره كلما انحرف هذا الفكر أو أصابته دخائل حوله عن جوهره وكان دائماً وسيظل كياناً حياً قادراً على التعدد والعطاء، وقد كشف الإسلام عن طبيعته الأصيلة القادرية على التوسيع والعطاء دون إرغام، والتكيف مع الجماعات والناس والأفكار ومنذ ظهوره وكل حدث مرتبط به على نحو من الأنحاء.

ولقد استطاع الإسلام حين امتنع بتحديات الصليبيين والتار أن يدخل أرضاً جديدة في جنوب شرق آسيا وأفريقيا وافتتح قلوباً جديدة فأضاف إلى معتقداته أضعاف أصحابه الأصليين ومنذ انتشار الإسلام لم يتقلب عليه متغلب من الأديان، وإن وقع أهله تحت سيطرة الأمم لتخلفهم عنه وانحرافهم عن طريقه الأصيل.

«وَإِنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقُ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِي» .  
ثانياً: ربط الإسلام بين العقيدة والتطبيق وفن العلم بالعمل، ورفض مبدأ العلم لذاته، وقرر أن العلم إنما يطلب من أجل العمل به والاستفادة منه في تحسين الحياة الإنسانية وتقديرها.

وقد اتصل ذكر ترابط الإيمان والعمل في القرآن في أكثر من خمسين موضع «الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» .

وكشف عن أن الطبيعة البشرية مزودة بقدرتين:

- قدرة نظرية قادرة على تحرصيل العلم.

- وقدرة عملية قادرة على تقويم العمل.

ولابد للاثنتين معاً، ولا ريب أن فقد القدرة العملية تعمق التقدم الإنساني وتحول دون تحقيق نماء المجتمع.

ثالثاً: حرب الإسلام المسلمين من دوامة البحث فيما وراء الطبيعة أو عالم الغيب فقدم لهم منهجاً كاملاً للميتافيزيك وذلك حتى يفرغ الإنسان لمهنته في بناء المجتمع وتعزيز الأرض وتحقيق العدل والإخاء الإنساني، والعالم في مفهوم الإنسان ليس قديماً ولكن حدث، خلقه الله قادر مستقل عن العالم.

رابعاً: هاجم الإسلام الخرافات والسحر والكهانة وأنكر العرافين وطارد الأوهام والمعتقدات الباطلة وأنكر ادعاء علم الغيب واعتبر السحر كفراً، وحرمن على أن يرتفع المسلم باليمنه عن الضعف البشري الذي يجعله العوبة في يد أوهام الواقع وأضاليل العرافين وقال عليهما في هذا: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل صلاته أربعين يوماً»

خامساً: فرق الإسلام بين العلم النافع، والعلم الزائد عن الحاجة ودعا المسلمين إلى أن يأخذوا من كل علم بما هو أحسن: «وَيَأْخُذُوا مِنْ حَسِنَاتِهِ» **﴿فَبَشِّرُ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ الْقَوْلَ فَيَتَبَيَّنُونَ أَحْسَنَهُ﴾** قوله الرسول عليهما : «العلم كثير فخذوا من كل شيء أحسن». وهو في هذا يركز أيضاً على أهمية الاجتهاد ويرفض التقليد والبحث عن البرهان وقبول الدليل، والعودة إلى الحق متى تبين (ولا يمنعك قضاة قضيته بالأمس ثم فُديت فيه لرشدك أن تعود إلى الحق).

سادساً: دعا الإسلام معتقليه إلى معارضة التقليد للأجنبي، ورفض التبعية وفي ذلك يقول الرسول: «من تشبه بقوم فهو منهم»، وليس معنى هذا أن يضم المسلمين آذانهم عن كل صوت يأتي من الخارج؛ بل أن يكونوا قادرين

على إبعاد العناصر التي تدمر شخصيتهم وقيمهم وتقبل كل ما يريدهم قوله.  
فقد حذر الإسلام المسلمين بالتشبه بغيرهم في أسلوب العيش، وحرص على أن  
تظل شخصية المسلم وفكرة وحضارته ومجتمعه متميزة.

وذلك أعلن حرباً لا هواة فيها على التقليد وعلى التبعية ودعا إلى إعلان التمييز  
بيننا وبينهم في الأخلاق والعادات وكشف عن أن التقليد فقدان للشخصية  
 وأن التبعية عبودية للفكر والعقل، وكشف عن التقليد يجري دانماً في جوانب  
الضعف والهدم والانحلال ويركز دانماً على التحلل والانهيار في الذات  
والتخلي عن قيم القوة والتماسك والصمود.

ولذلك فإن القول الذي تردد من أن نسير سيرة الأولياء ونسلك طريقهم لم يكن  
قولاً حكيمًا؛ لأنه يتعارض مع الفطرة ومع طبيعة النفس العربية المسلمة  
ومزاجها الذي شكله الإسلام منذ أربع عشر قرناً، وإن الظن بأن تلك  
التبغية تتحققنا بركتهم هي خطأ شائع ونصيحة ماكراً ودعوة مضلل.

سابعاً: هناك أمور ليست أهمية ولا مشتركة بين الأمم البشرية جمِيعاً، فهي  
مطبوعة في كل أمة بطبعها الخاص. تلك هي الأخلاق والعادات والتقاليد  
والآداب، فضلاً عن النونق والروح والمزاج.

إن هذه الأمور هي مقومات كل أمة ومنبع إلهامها، وهي ترجع إلى عوامل  
كثيرة أبرزها عوامل الدين والعقيدة، بالإضافة إلى عامل البيئة، والتاريخ، والعنصر،  
ولا ريب أن الفوارق بين الأمم من ناحية الأخلاق، والاجتماع، والعقائد، واللغة قوية  
وعميقة الجند إلى درجة تجعل من المستحيل تنويبها أو احتوائهما من جانب القوى  
المسيطرة أو الغازية.

\* \* \*

## ٤٢- خطأ القول بأن :

### أولاً: في الوجه:

خطأ القول بأن القرآن الكريم انطباع في نفس النبي ﷺ نشأ عن تأثير بيئة النبي التي عاش فيها وخطأ القول بأن القرآن الكريم ليس من العقل الباطن وليس وحيًا إلهيًّا.

ويحاول هؤلاء أن ينسبوا القرآن إلى النبي، وفي سبيل ذلك يتحدثون عن ما يسمونه عبقرية محمد وصفاء نفسه وصوًلاً إلى نسبة القرآن الكريم إليه.

وهذه مؤامرة خطيرة تقطع الصلة بين المسلمين والقرآن فإنه إن كان من كلام محمد فهو من عمل البشر، وبذلك يفقد معناه الاسمي ويفرق المسلمين فينتهي أمر الإجماع عليه.

لقد كان محمد ﷺ أمياً لا يقرأ ولا يكتب .. فمن ذا الذي أطلعه على ما جاء في القرآن مصدقاً لما في التوراة والإنجيل .. أما علمه بشئون قومه فهو علم لا يزيد عن علم غيره، ثم من ذا الذي أطلعه على قصص الأولين.

### ثانياً: حديث الجهاد:

تردد القول حول حديث الجهاد المنسب إلى الرسول ﷺ : «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر: جهاد النفس» .. هذا الآثر ليس بحديث على الصحيح، قال أمير المؤمنين في الحديث الحافظ ابن حجر في تسديد القوس: هو مشهور على الأئمة وهو من كلام إبراهيم بن عبدة وقال العراقي في تخريج أحاديث (إحياء علوم الدين) رواه البيهقي بسنده ضعيف عن جابر ورواه الخطيب في تاريخه عن جابر، على أنه لو صح فإنه لن

يعطي أبداً الانصراف عن الجهاد والاستعداد لإنقاذ بلاد المسلمين من عارية أهل الكفر. وإنما كون معناه وجوب مجاهدة النفس حتى تخلص الله في عملها فلتعلم وفتكاً أمور يلحق به كالأمر بالمعروف والنهي عن المكروه.

### ثالثاً: ما يرفضه الإسلام:

- (١) رفض الإسلام فكرة الرهبانية والهروب من الحياة والسلبية والانطوانية كما رفض فكرة الإباحية.
- (٢) رفض الإسلام فكرة الثبات المطلق والتطور المطلق .. كما رفض القول بتطرّر الأخلاق، ولا نقر القول بأن غاية الدين ليست الأخلاق وإنما الملازمة بين الفرد والمجتمع.
- (٣) رفض الإسلام فكرة أن الفرد نتيجة مفعولة وليس بسبب فاعل في الحوادث التاريخية.
- (٤) رفض الإسلام فكرة الفصل بين الإيمان والمعرفة، أو القول بأن الدين يختص بالاعتقاد (الإيمان) والعقل يختص بالمعرفة لا بالإيمان.

\* \* \*

إن فصل العلم عن صاحب العلم نظرية لا يقرها الإسلام، كما رفض الإسلام انفصال العلم عن قاعدة الإيمان.

\* \* \*

## ٢٥- النظرة الغربية الوافدة

إن النظرية الغربية الوافدة هي استجابة لتحديات مجتمع بعينه له مشاكله وأزماته وقيمته وعقيدته؛ وقد نقلت هذه النظرية إلى مجتمعنا في مرحلة ضعفه ووقعه تحت سيطرة قوة غازية .. ومن هنا فإن المجتمع الإسلامي لم يقبلها أساساً ولكنها فرضت عليه.

ولذلك فلابد أن نواجه هذا الخطر وأن نصحح موقفنا منه وأن نعرف مجموعة من الحقائق عن الفكر الغربي تضيء لنا الطريق إلى النظرة الصحيحة.

\* \* \*

**انفصال الفكر الغربي عن قاعدتين أساسيتين:**

(الأولى): عن قاعدة الإيمان بأن مصادر نواميس الكون وقوانينه قد أرساها الله تبارك وتعالى وبذلك وقع الانفصام في الحضارة الغربية بين العلم والإيمان.

(الثانية): انفصال الفكر الغربي عن قاعدة ارتباط خلقة الإنسان في الأرض بشروط عبادة الله وتحقيق غاية الوجود الإنساني وهو إقامة منهج الله.

لقد عمد الفكر الغربي إلى أن يبعد إرادة الله عن غaiياته ووسائله .. وبذلك يتعدى حدوده وضوابطه باسم مسؤولية المجتمع. ولو عقل لعرف أن الحضارة والعلم هما من عطا الله عن طريق هداية عقل الإنسان، ولذلك فلابد لنواجههما أن يسيرا في طريق الله وإلى غايته.

لقد أخطأ الفكر الغربي في تخليه عن المصدر الرباني في مناهجه ونظرياته.

\* \* \*

أبرز أخطاء الفكر الغربي هو نسيان مقاصد الله القائمة من وراء كل شيء ..

وعلنا أن قدرتهم في الوصول إلى مكتشفات العلم هي من تببيرهم الخاص، ولذلك قالوا بأن المضمار لم تعد في حاجة إلى وصاية الله، ويطلقون على مقادير الله كلمة الطبيعة إنكاراً لفضل الله.

\* \* \*

ليس التطور قانوناً أخلاقياً، وليس كل طور أفضل من الطور الذي سبقه، بل إن التطور قانون اجتماعي واقعي ولا يقتضي مطلقاً تفضيل الطور الأخير على الأطوار السابقة، ذلك أن فكرة التطور الاجتماعي إنما أخذت من فكرة التطور الحيوي (البيولوجي) والتطور في الحياة يكون تحسناً وارتقاء وقد يكون انقاضاً.

\* \* \*

إن وحدة الثقافة العالمية هي عبارة خلابة المظهر براقة الصورة .. ولكنها تخفي في أعماقها التحصّب والاحتقار للثقافات الإنسانية غير الغربية ومعناها في الواقع تسييد الثقافة الغربية على ثقافات الأمم (وخاصة الأمة الإسلامية ذات الثقافة المتميزة العميقـة الجنـود) والتي هي طابقـ هذه المنطقة المتميـزة من جـلـ طـارـقـ إـلـى حدـ الـصـين .. الـهـدـفـ هو سـوقـ السـلـمـينـ إـلـىـ وـلـاهـ وـعـبـودـيـةـ للـحـضـارـةـ الـفـرـبـيـةـ لـتـحلـ قـيمـ الـفـرـبـيـةـ مـحـلـ الـقـيمـ الـإـسـلـامـيـةـ.

\* \* \*

إن أخطر ما يشكل قواعد الفكر الغربي نظرية الخطية وقد قامت من أجلها معارك خطيرة في عصر النهضة وأنشأت كثيراً من المدارس الملحدة وقد تفلل الصراع من أجلها في الأدب الغربي برمتها وفي الفلسفات الغربية وفي كثير من النظريات السياسية الأربعية، بينما يقدر الإسلام عدم دراثة الخطية، لأن كل أمرٍ بما كسب رهين.

\* \* \*

## ٦٣- موقف الغرب من الإسلام

لا يزال التاريخ يذكر صيحة غلادستون في عهد الملكة فيكتوريا وهو يمسك بيده المصحف (القرآن) ويقول لأعضاء مجلس العلوم: «إنه ما دام هذا الكتاب باقياً في أيدي المسلمين فلن يقر لنا قرار في تلك البلاد».

\* \* \*

حکمت محکم التقییش منذ نشأتها (١٤٨١-١٥٠٨) على ٣٤٠ ألف نسمة باسم مقدسات المسيحية منهم مائة ألف أحرقوا بالنار أحیاء.

حاربت الکنیسہ کرولیہ الارض وکشف أمريكا والحقن تحت الجلد وتخذیر النساء عند الولادة مستندة إلى نصوص من الکتب المقدسة.

يقول دراير: إن العرب فتحوا من مملكة العلم والفلسفة ما أتوا على حدوده أسرع مما أتوا على حدود مملكة الرومانيين.

العرب أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استعادة الدين.

\* \* \*

المسيحية في أوروبا لم تقبل مزاحمة الإسلام لها. وال المسلمين يجب أن ينتهوا عند جبال البرية، وينتهوا من أوروبا بالهجرة أو التنصير وقد وضعت لذلك سياسة بالفَّاعفَةِ العُنْفَ.

\* \* \*

تقول مدام سن بوات: أتهم المدنية الغربية بأنها قصرت عند القيام بالمهمة التي تزعم أنها أقيمت على عاتقها، أعني نشر تعاليم الإنسانية وتعظيمها؛ لقد أراد الغرب أن يوحد العالم ولكن تحت سلطانه ولجا في ذلك إلى القوة الغاشمة ولم يبرع غير

مصلحة وحدها، وأنكر فضل الشرق وحجب فضل العرب وبعث بقواعد الحضارة  
الحقيقة.

\* \* \*

قال موبرت سبنسر للشيخ محمد عبده ١٣٢١هـ :

«محى الحق من عقول أهل أوروبا واستحوذت عليها الأفكار المادية فذهبت  
الفضيلة وهذه الأفكار المادية ظهرت في اللاتين .. ففسدت الأخلاق وأضعفـت  
الفضيلة، ثم سرت عدواها فيهم إلى الإنجليز فهم الآن يرجعون القهرى بذلك  
وسرى هذه الأمم يخبط بعضها ببعض وتنتهي إلى حرب طاحنة».

\* \* \*

## ٧٣- حول تصحيح الطريق وتصفية الخلافات

تقوم الثقافة الإسلامية على مفهوم واضح هو أن يكون العلم وسيلة إلى معرفة الله تبارك وتعالى والإيمان به.

وإن الإنسان له مهمة أساسية في الحياة هي العمل على تعمير الحياة وبنائها وإقامة المجتمع الرباني وأن يكون سعيه أخلاقي الوجهة مع الإيمان بمسؤولية الإنسان الفردية والتزامه الأخلاقي.

وقد دعا الإسلام إلى طلب العلم بنوعيه المادي والديني، على نحو يحرر الإنسان من الخوف ومن التبعية أو العبودية لغير الله تعالى وإقامة قوة الرقابة الداخلية (المسمى بالضمير).

ندعوة الإسلام أساساً إلى إصلاح الدنيا وإقامة منهاجها على حدود الله .. وليس إلى ترك الدنيا والزهد فيها والانسحاب منها.

ومفهوم أهل السنة والجماعة يقوم على أساس المفهوم الذي قدمته المتابعة الأولى (القرآن والسنّة) بعيداً عن مفاهيم الفلسفة والاعتزاز والكلام والتصوف الفلسفى وقيام العقل على ضوء الوحي وأن تتطابق الوسائل والغايات وترتبط الفكر بالتطبيق.

\* \* \*

إن إحداث التغيير يجب أن يبدأ من نقطة التماس منهج الله ببناء الفرد، مقدم لبناء الأسرة، وصولاً إلى بناء المجتمع.

إن تغيير الواقع هدف أصيل من أهداف القرآن الكريم .. وقد رسم القرآن منهجاً متكاملاً في هذا الصدد، ووجه الرسول ﷺ إليه المسلمين إلى الأسلوب الأمثل.

«ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُوعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَارِهِمْ بِالْأَيْمَنِ مِنْ أَحْسَنِ».

إن ما تحتاج إليه الدعوة الإسلامية في سعيها إلى التغيير عقيدة ريانية، وحقائق علمية ونفسية تبني الفرد .. وتشريعات تبني الجماعة .. وأولويات ترسم خطوات الدعوة.

وقد وضع الإسلام قواعد الاختلاف في الرأي وضوابطه على نحو تتلاشى معه حدة التناحر، والإسلام بطبيعة أطره الواسعة المرنة يتسع للاختلافات كلها التي لا تهدد وحدة الأمة.

وقد عرف قديماً أن الخلاف في الأمور الفرعية لا ضير منه، بل إنه رحمة، على أن يكون لهذا الاختلاف ضوابط وحدود .. وإذا وقع الخلاف رد الأمر إلى القرآن والسنّة، وأن تكون الحقيقة وحدها هي هدف المختلفين.

\* \* \*

## ٢٨- حول مفاهيم التوحيد الخالص

إن هدف الفلسفات المادية في هذا العصر هو تقويض دعائم الاعتقاد بوجود إله واحد بغض النظر عن البديل المقترن .. وكانت دعوة هذه المذاهب إلى ألوهية المادة أو ألوهية الإنسان أو اتخاذ الغريرة محوراً لتفسير الوجود.

ولقد جاء الإسلام لتصحيح فكرة مبئثة في كثير من كتابات المفكرين الماديين وهو أن التوحيد موجود في كل الديانات وليس مما تفرد به الإسلام وهذا تعليم خاطئ .. فإن التوحيد الذي جاء به الإسلام هو إسلام الوجه لله وحده دون تعدد أو شرك .. فالتوحيد الإسلامي هو وحده التوحيد الذي خلص من شوائب الشرك وإنه لأول مرة يقدم مفهوم الألوهية المحرر تماماً من التجسيم حتى يمكن القول أن الإسلام هو الذي قاد البشرية لأول مرة إلى التحرر من التجسيم ورفعها إلى التجريد.

ويقدر الإسلام أن الله تبارك وتعالى مستقل عن الكون فهو خالق والكون مخلوق، وفكرة الحلول والاتحاد وغيرها تتناقض مع مفهوم الإسلام في وحدانية الله وتنتزهه عن الخلق.

\* \* \*

- ويقرر الإسلام الجمع بين توحيد الريبوبية وتوحيد الألوهية .. أما توحيد الريبوبية فهو توحيد الله بأفعاله مثل الخلق والرزق والإحياء والإماتة وتدبير الأمور وإنزال الغيث .. (وهذا النوع أقر به المشركون).

أما توحيد الألوهية فهو توحيد الله بأفعال العباد التي يقيدهم بها وشرعها لهم مثل: الدعاء والالتجاء إليه والتوكيل عليه وقبول حكمه .. هذا النوع من التوحيد هو الذي جحده الكفار وكانت الخصومة فيه بينهم وبين الرسل وأقوامهم من لدن نوح

إلى عصر نبينا محمد ﷺ فكانوا يدعون أصنامهم ويقتربون إليها.

فالتوحيد الخالص هو إفراد الله تبارك وتعالى بالوحدانية والريوبية والعبادة ونفي كل شريك. كذلك دعا الإسلام إلى: توحيد الأسماء والصفات. ومعنى الإيمان بكل ما ورد في القرآن والأحاديث من صفات الله (تبارك وتعالى) التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله عليه الصلاة والسلام.

وقد دعا الإسلام إلى العذر من الشرك: الشرك الجلي والشرك الخفي .. أما الشرك الجلي فهو الشرك الأكبر وهو دعوة غير الله مع الله تبارك وتعالى .. أما الشرك الخفي فهو الرياء (المسمى بالشرك الأصغر) .. قال ﷺ : «إن أخاف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر .. قالوا: ما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء .. يقول الله تبارك وتعالى يوم القيمة: اذهبوا إلى الذين كنتم تراعن في الدنيا فانتظروا هل تجدون عندهم الجزاء».

\* \* \*

وقد دعا الله تبارك وتعالى أن نتفكر في خلق الله فهو منطلق الفهم واليقين .. قال عليه الصلاة والسلام: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله فتهلكوا».

وقد حدد الإسلام مفهوماً هو مفهوم أهل السنة والجماعة في التوحيد، قوامه: النقل والعقل .. أما النقل فهو المتمثل في نصوص القرآن وفي صحيح أقوال النبي.. وأما العقل فهو المعتمد على التأمل والنظر وعلى مناهج البرهنة والاستدلال.

وهذا النهج يختلف عن منهج المتكلمين وال فلاسفة والمتصوفة بعيداً عن تأويل النصوص أو اعتماد منهج الرياضة الروحية وحدها أو منهج العقل وحده.

\* \* \*

وبالجملة فإن التوحيد الذي جاء به الإسلام يختلف عن التوحيد الذي عرفه

الثقافات القديمة سواء من المصريين القدماء أو الأشوريين أو البابليين أو العرب والهنود والصين واليونان.

وأبرز وجوه الاختلاف يتركز في تصور الفارق بين الآلهة التي يعبونها وبين الله تبارك وتعالى فالحق تبارك وتعالى في عقيدة الإسلام التي نزل بها القرآن وجاء بها محمد ﷺ «صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» فهو لا يلبس البشرية ولا شيئاً من الخلق، وكذلك فإن البشرية لا تابسه، لا في وحدة ولا حلول ولا إتحاد ولا فيض ولا انبثاق ولا بائي صورة من الصور لا في الواقع ولا في التصور .. فهو سبحانه وتعالى لا يقاس بصورة إنسانية، ولا يؤله بشر يرفع إلى مقامه ولا باسم التعدد في الطبيعة (الاهمية وناسبية) ولا بآية صورة أو صفة.

إن الله تبارك وتعالى هو أول الأمر ونهايته، وهو مطلق الحركة في عالم الأكونا والحياة، وكل شيء يتصل به صلة العبودية، فالله هو رب، والإنسان هو العبد وصلة ارتباط دائم، ومن الإنسان الدعاء، ومن الله الاستجابة ومن الإنسان التقوى والشكر ومن الله تبارك وتعالى الرحمة والعدل.

\* \* \*

«إن سبيلنا الحق للتعرف على ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ليس علم أصول الكلام في نزوعه إلى الفلسفة والامصطلاحات العلمية المعقدة التي تشتبه الذهن وتفرق القلب .. ولا ذوق أصحاب الوجد في انقطاعه عن منهج العلم، وإنما سبيله هو العلم الصحيح الثابت عن الكتاب والسنة والموصى إلى العمل الذي تتحرك به الجوارج منفعة بوجдан علم عن ذات ربها وصفاته ما حرّكته بالخشية والرهبة والحب وكمال الخضوع والذل.

والتجريد أن يكن العبد يريد الله بحركاته كلها وأعماله كلها .. لا يريد بها إلا الله وأن يكون بعقله وقلبه ونفسه قاصداً إلى الله بجميع أمره، لا يحب مدح أحد ولا ثانية ولا يفرح بعمله إذا اطلع عليه المطلعون وإذا أثني عليه أحد حمد الله على ستراه عليه» حسن البنا.

## ٢٩ - حول مفاهيم العبودية لله تبارك وتعالى

العبودية لله تبارك وتعالى هي ملاك الامر كله، فعبودية الإنسان لله كما يتصورها الإسلام هي حرية الذاتية واستقلاله عن كل ما غير الله في الكون والمجتمع.

وقوام العبودية الثقة بالله تبارك وتعالى التي تجعل المسلم يتقبل الأمور بنفس هادئة .. أما غير المؤمن فإنه عندما تحيط به الأزمات يتحطم. أما الإنسان المؤمن فإنه مهما ادلهـتـ الـظـلـمـاتـ فإنـ نـورـ اللهـ يـضـيءـ لهـ الطـرـيقـ ويـفـتحـ أـمـاهـهـ أبوـابـ الـأـمـلـ، فهو يؤمن بـقـيـنـاـ بـأـنـ هـنـاكـ مـخـرـجـاـ سـوـفـ يـهـدـيـهـ اللهـ إـلـيـهـ إـذـاـ رـفـعـ أـكـفـ الضـرـاءـ **«اـدـعـونـيـ أـسـتـجـبـ لـكـمـ»** وـأـنـ مـعـ السـرـ يـسـرـاـ وـمـعـ الـظـلـمـةـ النـورـ. وـلـاـ يـأـسـ مـطـلـقاـ مـنـ رـحـمـةـ اللهـ، وـمـنـ هـنـاـ تـمـرـ بـهـ الـفـمـرـاتـ ثـمـ تـنـجـلـيـ، فـهـيـ لـاـ تـحـطـمـهـ وـلـاـ تـقـتـلـهـ وـلـاـ تـمـزـقـهـ مـنـ الدـاخـلـ وـلـكـ تـزـيـدـهـ قـوـةـ وـلـمـعـانـاـ، أـمـاـ إـنـسـانـ المـادـيـ الـمـجـرـدـ مـنـ الـإـيمـانـ بـالـلـهـ فـإـنـهـ إـنـسـانـ خـائـفـ مـذـعـورـ يـخـشـيـ الـفـيـبـ وـيـخـافـ الـغـدـ وـيـرـتـدـ أـمـامـ أـصـحـابـ التـفـوذـ وـالـسـلـطـانـ.

\* \* \*

فالعقيدة التي قوامها الإيمان بالله، تنظم العقل والشعور والوجدان، هي قوة تفوق كل قوة، حيث تعطي المسلم القدرة على تقبل أمر الله والتطلع إلى نصره، يقبل ما يقع ويتجه إلى الله ليخرجه من الأزمة، ويرفع عنه الضـ.

\* \* \*

إن أكبر أخطاء الماديين القول بأن الإنسان هو المحدود الذي تدور حوله المعاني والواقع أن الحق تبارك وتعالى هو محور كل الأمور.

ولا ريب أن النظرة البشرية محدودة بما ترى وبالمحسوس والمادة .. بينما

النظرة الربانية واسعة وشاملة وتعبر عالم النفس والروح وما وراء المادة.

ومن هنا فإن المنظومة الإسلامية واسعة الأفق، متكاملة في أبعادها الربانية،  
روحية بُنائية، تجمع النفس والبدن والدنيا والآخرة.

\* \* \*

رسالة الله تبارك وتعالى إلى الإنسان أن يلقى بقياده إلى خالقه، وأن يسلم  
نفسه لربه، فإذا ما اعتنق مبدأ السلام مع الله كان ذلك كله سلاماً بالنسبة إلى  
نفسه: أي رضا وغبطة وسلاماً بالنسبة إلى الخلق.

وقد قيد الله تبارك وتعالى العلم بأن يكون باسم الله (أَفَرَا بِإِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي  
خَلَقَ) وهذا هو قوام الحضارة الإسلامية، أما الحضارة الغربية فقد نشأت باسم  
العلم، ومن أجل ذلك سخرت العلم في الدمار والاستعمار وإشقاء الإنسان.

\* \* \*

إن العمل الواحد يعمله الشخص الواحد في وقت ما، فيكون دنيوياً ويعمله هو  
نفسه في وقت آخر فيكون عبادة، فإذا ما أراد بعمله وجه الله كان العمل عبادة  
مهما كان دنيوياً في مظهره.

\* \* \*

إن إفراد الله تبارك وتعالى بالعبودية هو في الحقيقة والواقع رفض للعبودية لاي  
كائن سواه في الأرض أو في السماء، وتحرر مأمون من سلطات النفس الأمارة  
بالسوء.

\* \* \*

إن عبودية الإنسان لله وحده هي طريق حريته وخلاصه من القيد الأثيم وإن  
تكون له حرية عزيزة مجيدة بدونها أبداً.

إن أخطر أنواع العبودية المعاصرة هي عبودية الإنسان لأهوائه وشهواته  
وعبودية الأفكار الجاهزة الوافدة المدفوعة بوسائل الدعاية المغربية.

\* \* \*

إن من أبرز الحقائق أن التوحيد (الذى جاء به الإسلام) ليس ولد التطور  
العلقى فقد دأب الباحثون على تصور نشأة العقيدة بأن التوحيد هو آخر مرحلة  
تطور الألوهية وهم يظنون - وبعضاً الظن إنما - أن العقل البشري ظل يترقى  
حتى وصل من تعدد الآلهة وبعبادة قوى الطبيعة إلى مرحلة التوحيد، ويرى  
بعض أن أختاتون هو أول داعية للتوحيد .. ومن خطأ الاعتقاد أن العقيدة  
بدأت بعبادة قوى الطبيعة بالرمز عليها في صورة تماثيل أو أنساب .. وانتهت  
إلى وحدة أختاتون البشرية.

والحقيقة أن البشرية بدأت موحدة منذ يومها الأول وبآدم أبي البشر ونوح أول  
الأنبياء ثم انحرفت عن الطريق السوي.

\* \* \*

وما يردده الباحثون أن التوحيد يكاد يكون عاماً في جميع الثقافات القديمة  
.. ولكن التوحيد الخالص لم يعرفه إلا الإسلام الذي أنكر جميع أنواع الشرك  
والتعبد ولم يجعل بين الله تبارك وتعالى وبين الإنسان حائلاً أو وسيطاً .. «إذا سألك  
عبدادي عنّي فلأني قرّيبُ أجيبُ دعوة الداعٍ إذا دعَانِ» .

يقول برنارد شو في قصة الزنجية تبحث عن الله: إن محمداً خطأ خطوة كبيرة  
إلى الأمام عندما أحل ديانة التوحيد محل عبادة الأصنام ودعا إلى إعادة النظر  
فيما أحاط بالأديان السابقة من الشوائب، وإلى التعرف على الجوهر الصعب  
منها. إن الوصية الثانية من وصايا الله المذكورة في التوراة والتي تقول: لا  
تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة من الصور ولا تسجد لها ولا تعبدوها، هذه  
الوصية تحجد احتراماً من المسلمين أكثر مما تحجد من المسيحيين» أ.ه.

إن مفهوم التوحيد الذي يقدمه الإسلام والذي ما يزال ينطليع إليه في العصر الحديث هو المفهوم القرآني الحالص على نحو ما عرف في الصدر الأول من المؤمنين بالإسلام بعيداً عن المخوض في الفلسفات والأساليب المنطقية التي درج عليها المتكلمون وبعيداً عن المصطلحات الفلسفية المعقّدة والكلمات الفنية الجامدة التي تكاد الذهن وتعتب العقل، وعلينا استقاء العقيدة من النبع الصافي الذي لا لبس فيه ولا غموض.

\* \* \*

إن أخطر ما دعا إليه الإسلام (خروجاً من دائرة التجسيم) هي تنزيه الله تبارك وتعالى عن مشابهة الحوادث، ونفي التمثيل والتشبيه والتكييف « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ » ، « هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِّيًّا » .

ولقد كان على البشرية أن تؤمن بأنه لا بد من قوة علوية تشرف على الإنسان وقبحه الأسلوب المتوازن الشامل الذي يتعامل به مع جهازه الإنساني الضعيف.

ولقد كان على البشرية أن تؤمن بأن الله تبارك وتعالى يمسك هذا النظام المترابط في كل لحظة، وأنه لو تخلى عنه لتلاشى وانتهى.

وليس صحيحاً ما تقوله الفلسفات من أنه خلقه وأصبح يدير نفسه « إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَرُوْلَا » .

\* \* \*

إن خطأ الإنسان الأساسي هو مقايسة الأمور على العقل المادي المحسى وعلى ما اعتاده في أمور الكون .. هذه القوانين الظاهرة في الكون هي قوانين المادة فقط فـي محدوديتها وعجزها وتغيرها وإن هناك قوانين أخرى لم يطلع عليها الإنسان تختلف ما نحن فيه وتنطبق على غير المادة.

\* \* \*

## ٣- مجموعة من الحقائق

### أولاً: الأخوة الإسلامية:

استهدف الإسلام إقامة مجتمع رهاني إنساني فيه عالمية الإسلام وشمول شريعته التي صاغها الحق تبارك وتعالى وفق منطق الحقيقة الكونية القائمة على التوافق والانسجام.

وهذا هو الخطأ الذي عمل النفوذ الأجنبي للتشكيك فيه بإقامة مفاهيم خادعة قوامها الإقليمية، والمادية، والإباحية وجرت محاولة تفسير الإسلام قومياً وماركسياً وديمقراطياً في سبيل إيجاد شعوبية، وعلمانية.

لقد ألغى الإسلام أفضلية القبيلة والعنصر والدم، بكل أبعادها وقلبها رأساً على عقب، وأظهر صورة جديدة، هي (الأخوة الإسلامية) ولكن قوى النفوذ الأجنبي تحاول تجديد إحياء الصراع بين المسلمين، وإحياء القبليات، وإثارة العنصريات، وإحياء الفرعونية والفينيقية والبربرية.

\* \* \*

### ثانياً: منهج الحجاج الإسلامي:

كان هدم الوحدة الفكرية الإسلامية هو هدف النفوذ الاستعماري .. وقد أمكن الوصول إلى قلب مفهوم الحجاج الإسلامي، فقد كان البيان الإسلامي هو السلاح المشهور في مواجهة حجج أصحاب الديانات .. وقد تتلخص هذا المنهج في دراسات الجامعات الإسلامية (الأزهر والزيتونة والقرطاجين) بحيث لا يمكن للعالم المسلم أن يسترجع النظر في كتب السلف الكباري وذلك في محاولة للقضاء على القدرة الذهنية الإسلامية في التمييز بين الصواب والخطأ في المناظرة مثل كتب الأمدي التي تضع قاعدة في سطر ثم يعادل عنها في أربعين

صفحة وهي الخاصية التي كانت تفرع المستشرقين والمبشرين، والتي تحول دون وصول شبهاتهم التي يقدمونها في كتب (إذا قال لك المسلم كذا فقل له كذا).

ولقد كان من هم التفوه الأجنبي القضا، على هذه العارضة لينفتح أمامهم الطريق إلى عقول غضة ليس لديها من العمق الإسلامي خلفية تمكن من دحر الشبهة ورد المفترى، ولا ريب أن القضا، على هذه الظاهرة خطير المدى، ولا بد من العودة مرة أخرى إلى كتب الحاج الإسلامي والقضايا، على نظام المخصصات والمذكرات الساذجة البسيطة، لبناء القدرة الأزهرية على الدفاع فإن التعليم القائم يحول دون الاتصال بكتب السلف بهدف إعجاز علماء الإسلام عن النظر الإسلامي.

\* \* \*

### ثالثا - دول السنة النبوية

السنة هي البوتقة الناصعة التي انصرفت فيها كل الثقافات والتحولات والدعوات التي طرحت في فلك الفكر الإسلام فاستحققتها السنة وحررتها من شبهاتها وأخذت عصاراتها الطيبة فضمتها إلى كيانها .. فالسنة هي النهر الكبير التي تكون المذاهب والفرق روافد له .. وقد التقت السنة بالكلام كما التقت بالتصوف، والتشيع، وصهرت خير ما في ذلك كله في مضمونها الجامع الأصيل الذي يستمد حقيقته وجوده من الفهم النبوي للقرآن.

\* \* \*

كشف محمد أسد (ليوبولد فابس) السر في محاربة قوى الغزو الثقافي والتغريب للسنة فقال: إن الهدف هو إسقاطها حتى يفقد المسلمون الصورة التطبيقية لحياة رسول الله وال المسلمين وبذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوته ويقول: لكي يستطيع نقدة الحديث المزييفون أن يبرروا قصورهم فإنهم يحاولون أن يزيلوا ضرورة اتباع السنة، لأنهم إذا فعلوا ذلك كان بإمكانهم حينئذ أن يتناولوا تعاليم القرآن الكريم كما يشاؤون على أوجه من التفكير السطحي، أي حسب ميول كل واحد منهم وطريقة تفكيره هو بذلك ينتهي إلى المنزلة الممتازة مع أنه نظام خلقي وعملي ونظام شخصي واجتماعي إلى التهافت والاندثار.

\* \* \*

## وابعا - حول مفاهيم الفن

ظن بعض العلماء أن الإسلام حرم التماثيل والصور؛ لأن المسلمين كانوا قريبـي عهد بالوثنية فأرادـ أن يقطع عنـهم ذريـعة القرـبي من هذه الوثـنية وأن يخلـص خـيالـهم من صـورـة الـلاتـ والعـزـىـ.

والواقع أن للإسلام ملحوظـاً أدقـ من هـذا وـهـوـ أنـ الإـسـلـامـ عملـ علىـ تحرـيرـ النـفـسـ الإـنـسـانـيةـ منـ التـعـلـقـ بـالـأـشـخـاصـ الـفـانـيـنـ وـمـنـ تـعـظـيمـ قـبـورـهـمـ «ـلاـ تعـظـمـونـيـ كـمـاـ كـانـتـ الـأـمـمـ تـعـظـمـ مـلـوكـهـاـ وـلـاـ تـجـعـلـواـ قـبـرـيـ وـثـنـاـ»ـ.

ومـقصـودـ هوـ تـعلـقـ القـلـبـ بـالـلـهـ الـواـحـدـ الـقـهـارـ، وـنـفـيـ فـكـرـةـ أـنـ يـكـونـ هـنـاكـ بـشـرـ يـتـعـلـقـ بـهـ النـاسـ عـلـىـ جـهـةـ الإـكـبـارـ أـوـ الـفـنـاءـ فـيـ هـذـهـ الشـخـصـيـاتـ فـيـ بـعـضـ الـبـلـادـ تـماـثـيلـ المـقصـودـ بـهـاـ صـرـفـ قـلـوبـ الـعـامـةـ إـلـىـ التـعـلـقـ بـزـعـمـانـهـاـ وـفـنـاءـ شـخـصـيـتـهـمـ فـيـهـاـ، وـهـذـهـ هـيـ عـبـادـةـ الـفـردـ ..ـ هـذـاـ هـوـ الـلـمـحـظـ الـذـيـ لـمـ يـنـبـهـ إـلـيـهـ بـعـضـ الـعـلـمـاءـ مـاـ يـتـرـتـبـ عـلـيـهـ إـلـغـاءـ الـذـاتـيـةـ الـإـنـسـانـيـةـ وـإـحـدـاـتـ فـرـاغـ بـيـنـ الـذـاتـ الـإـنـسـانـيـةـ وـخـالـقـهـاـ ..ـ فـلـاـ يـتـعـلـقـ بـهـ وـحـدهـ.

\* \* \*

## **خاتما - حول مفاهيم اللغة العربية**

إن منهج البحث (الأرجانون) لأي فكر لا بد أن يستند إلى خصائص اللغة، ولذلك فإن منهج البحث الغربي مستند إلى خصائص لغة أو لغات غير العربية، ولكل لغة منهجها الفكري القائم على معاناتها ومضامنها، وكما هاجم المسلمون النهج الأرسطي وقالوا إنه مستند إلى خصائص اللغة اليونانية التي تختلف اللغة العربية فكذلك الأمر بالنسبة للمنهج الغربي اليوم، ذلك أن للتفكير الإسلامي منهج البحث الخاص به والمستمد من اللغة العربية أولاً.

وقد اعتقد المسلمون بحق أن لغتهم جزء من حقيقة الإسلام، لأنها كانت ترجماناً لوحى الله ولغة الكتابة ومعجزة لرسوله ولساناً لدعوته، ثم هذبها النبي الكريم بحديثه، ونشرها الدين بانتشاره، وخلدها القرآن بخلوده، فالقرآن لا يسمى قرآن إلا بها، والصلوة لا تكون صلاة إلا بها.

\* \* \*

## ٣١ - خروء على الصحوة

(١)

نحن نستطيع أن نقرر صادقين أن القرن الخامس عشر الذي نعيش العقد الأول منه قد خطا بال المسلمين خطوات بناء وتجادة نحو الأصالة والعودة إلى المتابع، بالرغم من كل المعوقات والتحديات التي يواجهونها .. يظهر هذا أساساً في تلك الأعمال الجديدة التي ظهرت من أجل بناه، منهاج إسلامي لعلم النفس، ومنهاج إسلامي لعلم الاجتماع، ومنهاج إسلامي لللاقتصاد، ومنهاج إسلامي للأدب، كل هذا يشير إلى أننا بدأنا نطلق من مصادرنا وأصولنا الإسلامية الصحيحة التي تمثل جوهر فكرنا والتي لا تقبل أن تكون خاضعة للنفوذ الوافد.

ويقيني أن أشد الأخطار التي واجهت أمتنا هي الغزو الفكري الذي اعتبره الغرب بدليلاً لحرب السيف وأسماه «حرب الكلمة» من أجل القضاء على القدرة الحقيقة لهذه الأمة في الحفاظ على ذاتيتها والتمسك منهاجها الأصيل، إن هدف الغزو الفكري والتعريب إنما يرمي إلى صهر هذه الأمة في بوتقة الأهمية العالمية حتى تفقد طابعها الإسلامي القائم على منهاج الله أساساً: هذا منهاج الريانى المصدر الإنساني الوجهة العالمي الطابع، الجامع بين الروح والمادة والقلب والعقل والدنيا والآخرة ..

إن الهدف الذي يطمع فيه أعداء الأمة الإسلامية هي وقوع شبابنا - عدة المستقبل - في محاذير التحلل والأهواء والمطامع الصغيرة .. وبذلك يفقد مثله الأعلى وهو رياضته المتمثلة في حماية الوجود الحقيقي للأمة بالتماس الالتزام الخلقي من خلال العقيدة - لا خارجها - وفهم مهمه المسلم في الحياة سعيًا في الأرض وعماراناً في نطاق الكسب الحلال والانتقال من الفردية إلى الغيرية ومن الانحصار في المطبع الخاص إلى أن يكون خادماً للمجتمعه باذلاً بالعطاء

والنصيحة في سبيل إسعاد الأمة كلها ولابد من قيام مفهوم الجهاد في سبيل الله بمعناه الواسع من المرابطة في الشغور والقدرة على الردع وحماية الزمار من أي عدوان.

إن الحضارة الإسلامية يجب أن تجدد شبابها بمفهوم القرآن والسنّة لتؤدي دورها في جولة جديدة بعد أن قدمت للإنسانية لمدة ألف عام شعلة النور والإيمان، واليوم والحضارة الفرعية تنحدر إلى الغروب لنفس الأسباب التي انحدرت إليها حضارة الروم والفرس والفراعنة وهي الانحراف عن منهج الله وغياب البعد الأخلاقي فإن الحضارة الإسلامية مستولة أن تقدم نفسها للعالم من جديد ..

إن أسباب سقوط الحضارات قد حدها المؤرخون: وهو ينصب على الترف ثم التحلل من الأخلاق الكريمة.

إن أي إصلاح اجتماعي لا يجدي بدون الأخلاق، لابد أن نتمسك بقيمها المعنوية والأخلاقية، في مواجهة ارتفاع موجة الاستمتاع المادي بهذه هي التي دمرت مجتمعات الاستهلاك.

\* \* \*

## ٣٣ - الدخول في دين الله

(٢)

إن القبلة التي فجرها الدكتور / عبد الله أليسون بإعلان إسلامه في المؤتمر الطبي الإسلامي الدولي (المحرم ١٤٠٦هـ) ما زال دوبيها يهز معاقل الاستشراق والتبشير ويؤكد أن ما يعملاه في سنوات طويلة يمكن أن يسقط في لحظات. فإن إسلام هذا العالم الذي يرأس قسم الهندسة الالكترونية بجامعة لندن يؤكد صدق عطاء الإسلام لم يصل إليه فهذا رجل عالم من علماء العلاج النفسي والروحي جاء، ومعه بحث حول النوم والموت والعلاقة بينهما في ضوء الآية القرآنية:

(اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي تَعْصِي عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمٍّ).

وبعد أن ألقى بحثه جلس يشارك في أعمال المؤتمر ويستمع إلى الأبحاث وتلك الإبهار وازداد يقينه بأن هذا هو الدين الحق.

ومضى يستفسر ويسأل عن بعض التفصيات، وأسر أمراً لم يعرفه أحد حتى جاءت الجلسة الخاتمة فطلب الكلمة وألقى قبلته: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» ..

بينما كانت تكبيرات المسلمين من حوله ترتفع والدموع تنهر خشوعاً ورهبة.

وقال: «إنني أحسست بالسعادة والغبطة ..» وكشف عن مجبريته قال: إنه من خلال اهتماماته بعلم النفس وعلم ما وراء النفس، وتعرفت على الأديان فدرست الهندوسية والبوذية وغيرها ثم أردت أن أتعرف على الإسلام فعرفته وقارنته بما درسته من أديان وعقائد ومن خلال مؤتمر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة وجدت أن الفارق كبير جداً فأيقنت حقيقة أن الإسلام هو أكثر

الأديان تتشابه مع فطريتي وسلوكي الذي نشأت عليه فقد عشت حياتي لا أشرب الحمر ولا آكل لحم الحنizer وكانت أوقن في قرارة نفسي أن هناك إله واحد مهيمناً ومسطيراً على هذا الوجود وأنه هو الخالق وذلك عندما تعرفت على الإسلام وجدت أنه لا يتناقض مع العقل أو العلم فآمنت بأنه الدين المرسل من الإله الواحد الأحد وشهدت بالحق .. وقد تملكتني في اللحظة التي نطق بها الشهادتين شعور عجيب لا أستطيع وصفه هو مزيج من الشعور بالراحة والرضا والفرحة والارتياح».

ولا شك أن إسلام الدكتور أليسون هو إيقاع جديد للظاهرة التي مضى عليها إثبات دينيه وخالد شلدريلك واللورد هدللي من قبل وفي القريب موريس بوكاي وجارودي وهو إيقاظ جديد للغرب وعلماته بأنهم لو فهموا الإسلام لدخلوا فيه جميعاً كما قال أليسون: «إن الإسلام كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يتضمن حقائق علمية لا تتعارض مع علوم اليوم وأعتقد أن العالم الغربي كله لا يفهم الإسلام بهذا الفهم وعدد كبير من زملائي العلماء الغربيين لو فهموا الإسلام لدخلوا فيه جميعاً فلا ننسى أن معظم الأديان التي يدين بها الغرب إنما جامت من الشرق وأن الحقائق التي جامت في القرآن الكريم والسنة النبوية من قبل ألف وأربعمائة عام والتي أثبتها العلم الحديث الآن تؤكد أن ذلك لم يكن من عند بشر وتؤكد أن محمداً هو رسول الله وأن البشرية التي هي في مأزق اليوم عندما يقدم لها الإسلام ستجد أنها تسعد بتكامل الروح والمادة والدنيا والآخرة» ..

\* \* \*

## ٣٣- وأخيراً اعترفت بالخطأ

(٣)

وأخيراً: أعلنت الكنيسة الكاثوليكية أنها تعترف بخطئها مع غاليليو بعد ٢٥٢ سنة وكانت قد أدانته حين ذكر أن الأرض تدور حول الشمس مؤيداً رأي كوبرنوكس ومخالفاً بذلك ما ورد في سفر التكوين من أن الأرض هي مركز الكون وأن الشمس هي التي تدور حول الأرض وكان قد تراجع عن آرائه العلمية عام ١٦٣٣ والمعروف أن علماء المسلمين هم الذين أعلنوا هذا المفهوم العلمي وأخذوه منهم علماء أوروبا بعد أن تلقوا دراساتهم في جامعات قرطبة وبلنسية.

والمعروف أن غاليليو تكلم أمام محكمة من القساوسة مطالباً بأن يستبقى من حياته بضع سنين حتى سنة ١٦٤٨ فأنكر كل نظرياته ومع ذلك كان يتمتم وهم يقتادونه خارج قاعة المحكمة (ومع ذلك فهي تدور) وهو يعني أن الأجرام تدور حول نفسها وحول الشمس ثم أعلن كوبيرنيق (١٥٤٣) النظرية الإسلامية وهي أن الشمس مركز الكون وقد وصل إليها كوبيرنيق أو كوبرنوكس على أساس نظريات عالم الطبيعة الحسن بن الهيثم والفلكيين المسلمين الكثيرين في حين حرمت الكنيسة نشر كتاب كوبيرنيق سنة ١٦٣٦.

و واضح أن الكنيسة كانت تقف أمام معطيات العلم الإسلامي الذي حمل لوانه علماء الغرب وكان للغرب التي شنتها تحت اسم محاكم التفتيش هدف خفي هو معارضته مفاهيم الإسلام التي جاءت مناقضة لسفر التكوين .. وكان الغربيون الذين حضروا إلى عالم الإسلام في الحروب الصليبية قد عادوا يلهجون بعدل الإسلام وعدل صلاح الدين فأزعج ذلك الكنيسة إزعاجاً شديداً .. ومن ثم بدأ الرهبان الذين عرفوا خطراً الإسلام على دينهم وعلى المجتمع الأوروبي حملات التشكيك وإثارة الشبهات. ومن ذلك إنكار فضل المسلمين على العلم التجربى

وعلى العلوم الاجتماعية والنفسية والأخلاقية والاقتصادية، فقد نقلوا عشرات النظريات من تراث المسلمين وأنكروا نسبتها إليهم وادعوا أنها لهم، ومن ذلك أنهم حجبوها هذا التراث حتى لا تكتشف سرقاتهم بعد أن سرقوا التراث نفسه من مساجدنا وحملوه إلى بلادهم فنقلوا أكثر من مليون مجلد ، وقد حجبوها النظام الإسلامي في بلاده وفرضوا نظامهم، في التعليم والقانون والمجتمع والاقتصاد.

وكانت مؤامرة الصمت على فضل المسلمين في مجال العلم قضية كبرى، ما تزال مستمرة إلى اليوم، وما دوائر المعارف التي كتبوا فيها عن الإسلام والقرآن والنبي ما قالوا من دعاويم الباطلة إلا علامة على ذلك، وما زال إصرارهم قائماً بالرغم من توجيه مفكري الإسلام لأخطائهم في إنكارهم لنبوة محمد ﷺ ووصفهم القرآن بأنه من كلام محمد.

ولما وجدوا أن دائرة المعارف الإسلامية التي ترجمت إلى العربية منذ خمسين عاماً قد كشف زيفها، عادوا يكتبون موسوعة جديدة يدعون فيها التسامع ويستكتبون أسماء عربية من أتباعهم المغرين لخداع جديد والله من ورائهم .. محبيط ..

\* \* \*

## ٣٤ - محاولة فاشلة

(٤)

عشرات الكتب صدرت في الغرب تحت اسم التعرف على الصحوة الإسلامية أغلب هذه الكتب كتبت من وجهة نظر إما غريبة مستعملة بالجنس الأبيض الذي يدعون أنه لا يظهر .. سيد العالم وباني الحضارة، وإما مسيحية تصدر عن خلاف عميق بين مفهوم المسيحية ومفهوم الإسلام في أصول عامة أو من وجهة نظر اقتصادية تقوم على أساس العلاقات التي تربط الغرب بالعالم الإسلامي من حيث البترول أو المصالح الاستراتيجية.

وهذه الكتب في مجدها تبدو وكأنها تنكر حق المسلمين في أن تكون لهم صحوة واستفادة بعد هذه السنوات الطويلة من الاحتلال وسيطرة النفوذ الغربي والحقيقة أن البقعة الإسلامية بدأت منذ وقت بعيد وأن المقاومة العربية الإسلامية للنفوذ الأجنبي لم تتوقف وقد أكد كثير من المنصفين أنها خرجت من عباءة الإسلام وأن الغرب والمسلمين قاوموا النفوذ الغربي والاستعمار من خلال مفهوم (من مات دون أرضه فهو شهيداً) وإن ما يسمى بالحركات الوطنية وحركات المقاومة هي إسلامية الجذور والمصدر، ومفهوم الإسلام هو الذي غذاها ودفع الشهداء والمجاهدين إلى ساحات المقاومة.

ولذلك فليس من المستغرب أن تدخل مرحلة أخرى بعد مرحلة المقاومة، هي مرحلة البناء والإنشاء والتكون للمجتمع الإسلامي هذه المرحلة التي نعيشها الآن والتي أطلق عليها مرحلة الصحوة. إن هذه الأبحاث التي كتبها الغربيون لا تتسق بالعلمية ولا بالموضوعية وإن استخدمت مظاهر البحث العلمي ولكنها في صنيعها تحاول أن تشكيك في قدرة العرب والمسلمين على امتلاك إرادتهم وبناء مجتمعهم المتميز الذي لا يقبل من الحضارة الغربية كل ما تعرض له وإنما يأخذ

منها ما يجده مناسياً لجوهرها ولمنهجها دون أن تنتصر في أسلوب العيش العربي، لأن لها منهجها الأصيل السابق لأيدلوجيات الغرب والأكثر أصالة وسماحة وسعة أفق.

كذلك فإن هناك الأبحاث التي كتبها بعض المستشرقين للتعرف على الإسلام نفسه في عالم الإسلام ونحن نؤكد أن واقع المسلمين اليوم لا يمثل مفهوم الإسلام ولا يتخذ تكاملاً لدراسة الإسلام كما أن الإسلام ليس مستنداً عن هذا الواقع المتredi بما فيه من تخلف أو ضعف، والإسلام محظوظ بال المسلمين كما قال الأستاذ الإمام محمد عبده.

ذلك أن المسلمين اليوم لا يطبقون الإسلام تطبيقاً كاملاً وهم في مجالات الاقتصاد والسياسة والاجتماع والتربية خاضعون لمناهج وآراء فرضاً عليهم ولا يزالون عاجزين عن التحرر منها.

ولن يصلح للMuslimين منطلق نهضتهم الحقيقة ووجهتهم الريانية إلا إذا أسلموا وجروهم للله وحرروا أنفسهم من التبعية للفكر الغربي الذي لم يحقق لهم خلال هذا القرن (الذي خضعوا فيه لقانون نابليون) أي قدر من امتلاك الإرادة أو تبليغ الرسالة.

\* \* \*

## ٣٥ - هذه أمة اختارها الله لحمل رسالته

### (٥)

هذه الأمة شكلت على منهج الإسلام منذ أربعة عشر قرناً ولا يمكن أن يتم إصلاحها إلا من منطلق الإسلام ولا ينفعها أي منهج خاص في سبيل وصولها إلى امتلاك إرادتها فمنهجها هو القادر على التمكين لها.

ولقد كانت هذه الأمة تمر بالآزمات على مدى التاريخ فلا تجد لها مخرجاً منها إلا أن تعود إلى منهجها الرياني الأصيل وعندئذ يعود لها مجدها وعزها وهي لا تقيس أمورها ولا تحمل قضيابها ولا تعالج مشاكلها إلا من منطلق هذا المنهج الرياني الذي رسم لها وسائل النصر وأسلوب التقدم .. فإذا عادت إلى أصلتها كشف الله تبارك وتعالى عنها أزمتها، إن هذه الأمة اختارها الله تبارك وتعالى لتكون خير أمة أخرجت للناس على شرط واضح: **﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾** كذلك فإن هذه الأمة ستظل في رباط إلى يوم القيمة فهي حامية للبيضة، باذلة في سبيل ذلك من ذات نفسها وتلك مسؤوليتها.

ولن يجتمع شمل هذه الأمة إلا عندما تلتقي على وحدة الفكر وتخالص من التبعية للمذاهب الوافدة التي أراد النفوذ الأجنبي تغريبها والгинولة دون امتلاك إرادتها، لقد جربت أمتنا الإسلامية كل المناهج والمذاهب الوافدة فلم تتحقق لها أشواقها النفسية ولا مطامحها المعنوية، وقد رجعت اليوم إلى جوهر فكرها عندما وجدت أنه الطريق الوحيد.

وليس معنى هذا أنها ترفض الفكر العالمي ولكن معناه أن لديها رصيدها الأصيل وأن تفتحها على الفكر البشري له ضوابطه فهي لا تنفس فيه ب بحيث تفقد ذاتيتها .. ولكنها تأخذ منه ما تحتاج إليه دون أن تنتقص من وجودها الحقيقي وما تأخذه فهي تحوله إلى (مواد خام) تشكلها في دائرة فكرها الأصيل

على النحو الذي تراه، وبذلك تجمع بين أصالة المتابع وعايشة العصر، كذلك فعلت كل الأمم التي واجهت حضارات قوية..

وأمامنا تجربة اليابان وغيرها، ولا تنتصر في الحضارات الكبرى إلا الأمم التي ليس لها تاريخ أو منهج فكر أو أسلوب أصيل من عقيدة رباتية، لقد أعطاها الإسلام المنهج الريانياي المصدر الإنساني العالمي مطعم البشرية اليوم لتشكل غدها وعلى هذا دخل الإسلام قلوب أقطاب الفلسفات الغربية.

إن علينا أن نفهم القانون الأساسي للحركة والتطور والتقدم وهو قانون مترابط بين عنصر الثبات وعنصر الحركة، علينا أن نعذرهم من صيغة التغيير المندفعة حتى لا تقضي على الجوهر الثابت.

إن أخطر الدعوات اليوم هي الدعوة إلى نبذ الماضي والتاريخ والقديم والتراث .. وإن كل هذه المعانى في حضارتنا مرتبطة بالإسلام، إن الذين يهاجمون ميراث الإسلام إنما يعيون سمو الفلكلور والتراث الوثني القديم الذي قضى عليه الإسلام.

إن الأخذ من الغير مفید بشرط المحافظة على أصالتنا وإن الأخذ لا يكون صحيحاً إلا إذا كان بإرادتنا الحرة وأن يشكل داخل دائرة فكرنا.

\* \* \*

## ٣٦- العمل الحقيقى

(٦)

لابد أن يكون العمل الحقيقى المطروح فى مطلع القرن الخامس عشر الهجرى هو أسلمة العلوم والمناهج وأسلمة التكنولوجيا؛ ذلك أنه لابد أن يتسلح المسلمون إلى جانب فهمهم الأصيل للإسلام (عقيدة وشريعة وأخلاقاً) بهذا السلاح لكسر طوق التبعية والاستغلال وتسخير طاقات مواردهم لتنمية المجتمع المسلم والوطن المسلم ومحير المسلمين من السيطرة العالمية.

كذلك لابد من إقامة نظرية جديدة للتعليم الإسلامي تختلف عن المنهج التغريبى المفروض الآن في عديد من البلاد الإسلامية حيث يقوم المنهج التربوى الأصيل على أساس بناء الفرد على منهج الإسلام وغرس الولاء للوطنية الإسلامية الجامحة وتحصينه ضد المؤامرات والمفاهيم الوافدة.

ولابد منوعي كاملاً إزاء محاولة إحياء الفرق القديمة والتبارارات الضالة وخاصة المسؤولية والبهائية والقاديانية والعلمانية والماركسيّة والوجودية ويجب أن يكون واضحاً أن منهج الإسلام الأصيل شيء مختلف عن التطبيق الإسلامي وأخطاء التطبيق لا تُنسب إلى المنهج وإنما تُنسب إلى المسلمين، وواقع المسلمين اليوم ليس حكماً على الإسلام.

لقد طرح الإسلام مفاهيم أصلية ومقاييس صحيحة في مختلف قضايا الثقافة والاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية تختلف اختلافاً واضحاً عن مفاهيم الغرب المطبق الان، وهي مفاهيم قوامها التوجيد الخالص والرحمة والعدل والإباء البشري، إننا أمة واعية فطنة غير خادعة ولا مخدوعة نستفيد من تجارب الآخرين ولا نخرج عن جوهر قيمنا الأساسية.

أما التجربة الحضارية المعاصرة فتعن لا تقبلها قاماً ولا ترفضها، ولكننا قبل ما يصلح لإحياء حضارة الإسلام على أن يكون ما قبله بشابة مادة خاماً تدخل في إطار الإسلام بثوابته ومتغيراته وتتشكل داخله وفق مفهوم الإسلام للحضارة والمجتمع.

ول يكن واضحاً أن محاولة بناء منهج فكري عربي على أساس النظرية العلمانية تخضم له الأجيال الجديدة قد سقط تماماً؛ لأنه منهج زائف ليس أصيلاً ولا مستمدأً من تراث هذه الأمة أو ميراثها وإنما كان محاولة لتبرير الواقع وتقبله وطرح مفاهيم مسمومة ترمي إلى عزل مفهوم الإسلام الجامع القائم على أنه منهج حياة ونظام مجتمع وذلك لتوحيد الكفاح في وجه التغريب والاستسلام للاحتياط العالمي والأعمى.

لابد من تأصيل القيم العليا التي تقدمها لنا الإسلام والتي هي أساس وجودنا، لقد وفدت على البلاد الإسلامية دعوات ودعوات ولكنها لم تستطع أن تفه الأصالة الإسلامية.

إن علينا امتلاك الإرادة ثم تحrir هذه الإرادة .. إن الالتزام الأخلاقي بعد الشرط الأساسي لتحقيق التطور والتكميل والتقدم في حياة المجتمع المسلم .. كذلك فإن علينا أن ننقد الاقتصاد الإسلامي من برائنة الربا وتغيير النظام القائم في المصارف إلى نظام المشاركة في أرباح القروض.

\* \* \*

## ٣٧- الماضي والتاريخ

(١)

أخطر الدعوات المسمومة الموجهة إلى اليقظة الإسلامية في هذه المرحلة: هي الدعوة إلى نبذ الماضي والتاريخ والقدمي والتراث الإسلامي وإحياء الفلكلور (الذي هو سذاجة طفولة البشرية) والتراث الوثني القديم الذي قضى عليه الإسلام والاهتمام بإحياء تاريخ ما قبل الإسلام وإحياء شخصيات وثنية.

وهنا يجب التنبيه على التناقض الموجل في المغالطة فكيف أحivi عهداً قدِيماً في ظلمات العصور السابقة، ثم أنكر تاريخ الإسلام نفسه وما يتصل به من تراث (خلال أربعة عشر قرناً) وأيَّهُما أحق بالتكريم والرعاية: عصر مرتبط بالوثنيات والماديات والأساطير والخرافات وما يتصل بعلم الأصنام هذا العصر الذي انقطع تاريخياً بظهور الإسلام وانقطع حضارياً بسقوط تقاليده ولغته وأدابه التي لا يوجد منها إلا قصاصات ذابلة، أم عصر الضياء والنور الذي عم البشرية كلها وانتقل خلال أقل من ثمانين عاماً بين حدود الصين إلى حدود نهر اللوار في فرنسا، هذا العصر المضيء، خلال ألف سنة حين كانت أوروبا غارقة في ظلمات القرون الوسطى وكانت الأندلس المسلمة تعقد جامعات العلم التجاري، وتتعلم الفلك والطب والملاحة وكان فيها عبد الكريم الزهراوي يجري عمليات الجراحة في المع و يستعمل (المرد) الذي نسميه اليوم (البنج).

هذه هي (السلفية) التي يصبون عليها السخريات، وهي العطا، الذي علمه القرآن للMuslimين حين دعاهم إلى التجربة والنظر في ملوكوت السموات والأرض وتقديم الدليل فأنشأ المنهج العلمي التجاري ومنهج المعرفة ذي الجناحين (المادي والمعنوي) معاً، وكيف يرفض صناع الحضارة الإنسانية التي حررت البشرية من عبودية الصنم ومن عبودية الإنسان وحررت العقل البشري فجعلته يتوجه من

الكون إلى المكون ومن الخلق إلى الخالق، إن هذا المسلم لا يرفض أبداً منجزات العلم والتكنولوجيا ولكنه يؤسلمه، يدخلها في دائرة فكره المسلم ليعاملها بنفهم الإسلام، الذي يختلف تماماً عن مفهوم الغرب والذي يقوم أساساً على الإيمان بأن الأمور كلها والعلوم كلها من الله تبارك وتعالى وإليه، وأنها خالصة لوجهه وحده من أجل بناء حضارة ريانية وإنشاء مجتمع ريانى، وهي للبشرية كلها أبيضها وأسودها، لا استعلاء عنصري فيها ولا تطاول على الخلق.

إننا نقبل من الغرب العلوم الطبيعية والرياضية ولا نقبل أسلوب العيش، لأن لنا ثقافتنا وعقيدتنا وقيمتنا التي تختلف، وإننا نقبل التنظيمات ولا نقبل النظم، لأننا نريد أن نكون نحن بذاتيتنا الخاصة التي صنعتها الإسلام وجعلها ميزة لنا لتكون وسليتنا إلى حمل الأمانة إلى البشرية كلها، ومن هنا فإننا يجب أن لا ننصره ولا نحتوي ولا تحاصرنا الحضارة الغربية المتهارة التي تم بأسرها مراحلها، ولأننا الدم الجديد الذي سيبعث في البشرية ضياء العدل والحق والرحمة.

إن دعوتنا إلى المنابع والتعارض الرشد الفكري ليس معناها الجمود ولا التخلف ولكن معناها التماส الترابط الحقيقي بين الماضي والحاضر والمستقبل.

إن الأمم يجمعها العلم والمعرفة ويفرقها أسلوب الحياة الذي يقوم على الثقافة والعقيدة، وما بين المسلمين لقاء واسع في الملامع الأساسية والعمامة وخلافات قليلة ترجع إلى البيئة والجغرافيا وهي ليست من علامات التفرق والاختلاف.

إن أبرز مفاهيم الصحوة الإسلامية العائدة إلى منهج الله هو فشل النظريات والمذاهب والأيديولوجيات التي عرفها العالم الإسلامي خلال قرن ونصف قلم تحقق له إلا مزيداً من التخلف والضعف والتغلل.

لقد وضع الآن أن دعوة التغريب قد فشلت وانكشف أنها خدعة ومؤامرة

من الذين رسموها في الغرب ومن الذين نفذوها من أتباعهم في بلادنا.

فبان الإسلام بنهجه في (تحقيق النصر والخروج من الهزيمة والأزمة) هو وحده القادر على وضع المسلمين على الطريق الصحيح اليوم كما وضعهم من قبل في مثيلات هذه الأزمات.

أما اعتماد منهج الغرب في الحساب المادي والتحليل الخلقي والإيمان بالاندفاع وراء الاستهلاك والانصراف عن بناء الشخصية الفردية المسلمة القادرة على الوقوف في وجه الخطر، المؤمنة بعظمة هذا الدين وقدرته على العطا، على مستوى البشرية كلها، فهذا هو الخطر الذي يجب التخلص منه للعودة إلى بعث الإيمان في النفس المسلمة وخلق روح الثقة بالله، وتصحيح سلم القيم؛ ذلك أن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .. وإذا كان الاستشراق قد سقط، واختفى وراء بديله من قوم يتسمون بأسمائنا .. فإن هؤلاء يجب أن تكشف خبيثتهم حتى لا ينق بهم أحد.

\* \* \*

## ٣٨ - مؤامرات يجب أن تكشف

(٢)

سلط التفود الغربي على المسلمين كل ما يحول دون عودتهم إلى وحدتهم، وقوتهم، وإقامة مجتمعهم، وأمتلك إرادتهم، والمخطط واسع وغريض:

**أولاً:** إثارة الحرب النفسية على المسلمين لخلق روح انهزامية تتنكر لقيم الإسلام وتاريخه وتراثه، هذه الحرب يجب كشف أهداف أعداء الإسلام فيها وخططها ودلالتها.

**ثانياً:** عرف التفود الأجنبي أن الأفكار العظيمة المرتبطة بعقيدة راسخة هي وحدها التي حققت للعرب وال المسلمين منجزاتهم الكثيرة على فترات التاريخ وأن عقيدة التوحيد جمعت ما تفرق من الأمة ووضحت ما غمض ولذلك كان حرياً على هذه الوحدة.

وكان من ذلك غرس بنور الإقليمية والقومية والخلافات القبلية والعنصرية حتى لا يلتقي المسلمون على وحدة فكر.

**ثالثاً:** سلط عليهم التفود الأجنبي المحرمات كالخمور والمخدرات، يقول هنري دي كاستري: أن أحد سلاح يستأصل به المسلمين وأخطر سيف يقتلون به هو الخمر، وقد جرد الغرب هذا السلاح على أهل الجزائر فأبوا أن يتجرعوه، **عَتَّمَتْ كُلَّهُمْ بِكَبِيَّهُ كَمْبِيَّهُ كَذَّاهُ كَتَّاهُ كَتَّاهُ كَتَّاهُ كَتَّاهُ كَتَّاهُ** سربت حمره وتحملت إذلتنا .. إن انفراد الإسلام بتحريم الخمور هي فرية لا تجدها في كتب الديانات الأخرى، بل ربما تجد في بعضها تشجيعاً على الخمر كقول القديس بولس لتلميذه له: خذ قليلاً من الخمر لإصلاح معدتك، أما المسلمين فإنهم ما كانوا يسمعون تحريم الله (تبارك وتعالى) للخمر حتى أريقت أدنانها وأكوابها فسألت بها الطرقات أنهاراً ..

**ونضيف إلى هذا ببريرية غزو الفرنجة الصليبيين للقدس والإبادة الجماعية للأقاربة.**

**رابعاً:** إنكار فضل المسلمين على الحضارة البشرية عن طريق مؤامرة الصوت وسرقة التراث من بلاد المسلمين ونهب نظريات الفكر الإسلامي وضمها إلى الفكر الغربي وعدم الإشارة إليها وتزييف تراث المسلمين عن طريق الحقد والتعصب.

**خامساً:** الاستعلاء بالعنصر الأبيض ورفض الغرب مزاجة الإسلام لهم وهم الذين قالوا: إن على المسلمين أن يتبعوا من أوروبا بالهجرة أو التتكيل من ناحية الأندلس ومن ناحية البلقان.

**سادساً:** بث السموم والزيوف والأسواه التي احتواها الفكر الغربي في أفق المسلمين لبلبة تفكيرهم وإحياء التراث الوثنى والغنوسي والباطنى القديم لتحريف مفهوم الإسلام عندهم.

**سابعاً:** تزييف عمليات كثيرة في التاريخ منها حركة الكشوف الجغرافية، فقد تبين أن هذه الحركة لم تكن سوى مظاهرة تشhirية تصويرية كبرى تهدف إلى مطاردة المسلمين ومحاولة حصارهم للقضاء على الإسلام نفسه: يقول المؤرخ البرتغالي: فاسكوبو كارافللو: إن الواجب يحتم على النصارى إلا يتركوا المسلمين الأندلسيين يتعمدون بالملام في الشمال الأفريقي وعليهم أن يتعقبوهم حيث وصلوا. وهذا يكشف بأكثر من دليل روح الخصومة والكرامية والحق المبثوثة في نفوس النصارى ضد الإسلام، وهي التي دفعتهم إلى إطفاء جنة الإسلام في صدور بعض المسلمين بتقريفهم من الفيرة على بلادهم ومن الجهاد ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن الحفاظ على ذاتيتهم الخاصة وانهيارهم وتراخيهم حتى يجري احتواهم وصهرهم في بوتقة الأمية وبذلك يفقدون وجودهم الحقيقي وذاتيتهم الإسلامية وتميزهم القرآني ..

## ٣٩- القرآن فوق النصوص

إن الدعوة التي تشيع اليوم بما يسمى التوفيق بين النصوص التوراتية والإنجيلية من ناحية وبين القرآن الكريم من ناحية أخرى هي دعوى باطلة وزائفة ويرجع لها يهود تحت اسم جديد، بعد أن تعدد المحاولات منذ أيام الشيخ/ محمد عبد لاحتواء المسلمين، واليوم ترجم دعوى ما يسمى «أبناء إبراهيم» في محاولة لخداع المسلمين عن الدور الذي لعبه رؤساء الأديان في تحريف السلسلة المتصلة بين الحنيفة الإبراهيمية وبين الدين الذي نزل على موسى عليه السلام والدين الذي نزل على عيسى عليه السلام بوصفهما حلقتين في سلسلة تنتهي بالدين الخاتم والنبي الخاتم.

ولقد ظهرت كتابات كثيرة في الغرب اليوم تحت اسم «الأريوسية»، بالعودة إلى مفهوم الراهب أريوس الذي عارض فكرة الوهية السيد المسيح في مؤتمر نيقا وبعده وما ظهر من كتابات تكشف فساد دعاوى وردت في الكتب القديمة وأهمها ما أشار إليه القرآن الكريم من إخفاء بعض ما جاء في الكتب المزيفة فيما يتعلق بالإشارة إلى بشائر ظهور النبي الخاتم.. وما جاء فيما أخفى وأعلن ووصف القرآن ذلك بقوله **«تَشْتَرُونَ بِهِ مَنَا قَلِيلًا»** .. كذلك فقد كتب الدكتور موريس بوكاي عن تناقضات الكتب القديمة مع حقائق العلم الحديث وتجابق القرآن مع هذه الحقائق..

لقد جاء الإسلام ليحطم العبودية: عبودية الإنسان للصنم وعبودية الإنسان للإنسان بعد أن أحلتها تفسيرات الأحبار والرهبان وبعد أن أعلن أعظم عظماء الفكر أرسطو وأفلاطون: أن الرق ضرورة وأنه قاعدة الحضارات وقالت اليهودية: **«لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأَمْمَيْنِ سَبِيلٌ»** أما المسيحية فقد أذاعت لروما أي ترجمت المسيحية ولم يتمسح الروم، فلما جاء الإسلام ألفى ملكية الجسد والروح، وفي

الريا ألغى نظام القروض ذات الأضعاف المضاعفة، وألغى ربا الفضل وربا النسبة  
جميعاً، وأقام التعامل على أساس القرض الحسن وإلى ميسرة وقد عاد الريا  
باستعلاء أصحاب العجل الذهبي .. إذن فلابد أن يعود العالم إلى الإسلام مرة  
أخرى، ولا بد أن تتحطم هذه القواعد المتهارة وقد استدار الزمن إلى هيئته يوم  
بعث محمد ﷺ .. ولا بد أن تعود البشرية مرة أخرى إلى منهج الله.

إن النظرية العلمانية دخلت الفكر الإسلامي الحديث عن طريق علي عبد  
الرازق وطه حسين ومن قبلهما أتاتورك وسعد زغلول، لقد أراد الغرب أن يحجب  
القانون الإسلامي ففرض قانونه الوضعي .. وغير أسلوب التربية الإسلامية إلى  
أسلوب الغرب العلماني .. وفرض نظام المصارف الربوية، فماذا نجد الآن بعد  
قرن من تطبيق آتون نابليون، نجد العالم الإسلامي يتراجع وتنهب ثروته ويتمزق  
وجوده، ولكن ذلك الضوء الساري الجديد بين اليقظة والصحوة سوف يحرر  
المسلمين من التبعية فيعود المسلمون إلى الأصالة وإلى المنابع وإلى الوحدة  
الجامعة بإذن الله ..

\* \* \*

## ٤- المنهج والتطبيق

إذا كان للإسلام أن يقدم للحضارة المعاصرة بrama الإنقاذ من الفناء الحق  
- الذي تردد إليه الحضارات القديمة الوثنية جميعها (اليونانية والرومانية  
والفارسية والفرعونية) - فإنما يقدم لها قاعدة.

الرابط بين الوسائل والغايات .. والجمع بين المنهج والتطبيق ..

فهذه هي مركب النجاة للحضارة التي استخدمت المنهج التجربى الإسلامى  
ثم فصلت بين النظرية والتطبيق « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ  
مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ». .

إن أبرز ما يختلف فيه الإسلام عن النظيرية الغربية التي تقوم عليها الحضارة  
المعاصرة والمجتمع المعاصر هو الفصل بين القيم: والتحرك في إطار وجهة واحدة:  
من الثبات المطلق في عصر أرسطو إلى التطور المطلق في عصر هيجيل تجاوزاً  
لنظرة الإسلام الأصيلة الجامحة بين (الثواب والعقاب).

فقد ربط الإسلام بين المادي والمعنوي وبين الإلهي والبشري .. وبين الدنيوي  
والآخرني، وبين الروح والمادة .. بينما لا يزال الفكر الغربي يرى استحالة الجمع  
بين العنصرين لقيامه أساساً على الانشطارية وعلى الفلسفة المادية وحدها.

والفكر الغربي يرى أن هناك استحالة في الجمع بين الفردية والجماعية وقد  
ظهرت كتابات علماء اللامهوت المحدثين أبحاث عن نقص فكرة (الإله المجسد)  
تحت عنوان: (أسطورة الإله المجسد) ..

وقال بوكاى: إن الحقائق التي جاء بها القرآن في القرن السادس الميلادي  
وكشف عنها العلم الحديث اليوم، هي مما كان لا يمكن لبشر أن يعلمه في ذلك  
التاريخ، ولذلك فإن إيراد القرآن الكريم لها يدل دلالة أكيدة على أنه من عند الله.

ولقد اختلفت النصوص التوراتية والإنجيلية عن القرآن في أمور كثيرة، بل لقد تفوق القرآن في إيراد أجزاء من سيرة النبيين موسى وعيسى ليست موجودة في كتبهما كما بشر ببشرارات تتعلق بأمور كثيرة لم تحدث إلا من بعد .. ومنها انتصار الرعد على الفرس «**غَلَبْتِ الرُّومَ فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَقْلُبُونَ فِي يَضْنَعْ سَيْنَيْنَ**» وانشقاق القمر، وأيات أخرى كثيرة.

والليوم يكشف علماء الفلك أموراً أوردتها القرآن، كما يكشف علماء الطب معجزات أوردتها القرآن.

وغاية القول أن الله تبارك وتعالى الذي جعل الإسلام هو رسالة الأنبياء منذ نوح إلى محمد، هو الذي جعل الإسلام الرسالة الخاتمة وكتابها الكتاب الخاتم وجعله مهماً على الكتب السابقة جميعها وأصول هذه الكتب قد أوردتها القرآن وسجلها حين أشار إلى مضمون التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم .. فما جاء في هذه الكتب مشابهاً للقرآن فهو دليل على أن الكتب السماوية كلها من مصدر واحد هو الله تبارك وتعالى، وليس دليلاً على أن النبي قرأ هذه الكتب وأخذ منها .. ولأمر حكيم يعلمه الله بعث محمد صلوات الله عليه أميناً: «**وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُلْ بِيَمِينَكِ إِذَن لَارْتَابَ الْمُبْطَلُونَ**» .

\* \* \*

## ٤٤- منهج الله

إذا كان قد تبين أن هناك وحدة إنسانية جامدة للبشرية كلها فإن هذا يصح من خلال التشابه في الاستجابة لأوضاع البيئات والوراثيات والثقافة .. وتكون العقائد هي العامل الأول في تنوع الوجهة إزاء قبول بعض الاعراف أو رفضها .. وأية ذلك أن البشرية تختلف الآن باختلاف عقائدها وثقافاتها بالرغم من أن هناك عوامل أساسية تجمعها .. ولو أن البشرية أسلمت وجهها لمنهج الله لقادمت الوحدة الإنسانية الحقيقة، أما اختلاف البيئات والوراثيات فإنها لا تمثل إلا شطراً مغيراً لا يحول دون وحدة الفكر والعقيدة والثقافة، ويجعل من التنوع مصدراً للاختلاف في الفروع.

ومن هنا فإن القول بأن التنوع أو الاختلاف في البيئة أو الوراثة من شأنها أن تخلق حواجز دون الوحدة الجامدة في المساحات الواسعة من الثقافة والعقيدة والأخلاق، فإن هذا قول مرنود بواقع المجتمعات الإسلامية نفسها وبوقائع التاريخ .. فليس هناك ما يدعوه المستشرقون من أن هناك إسلام عربي، وإسلام تركي وإسلام فارسي، وإنما هو إسلام واحد، لأن مساحة الالقاء بين المسلمين جميعاً واسعة كبيرة أما مساحة الاختلاف بحكم الجغرافيا أو الوراثة فهي ضئيلة جداً. لقد صنع الإسلام وحدة المعتقدين له، فجعل ذلك ممثلاً في وحدة العقيدة.

فالفردية هي أبرز سمات الأيديولوجية الليبرالية، بينما الجماعية هي سمة الأيديولوجية الماركسيّة، أما الإسلام فإنه يجمع بينهما و يجعل الفرد للمجتمع والمجتمع للفرد، ويدعو المسلم إلى الترقى من الفردية إلى الغيرية.

ذلك فإن الإسلام يدعو إلى التغيير في إطار الثبات، والتنوع في إطار الوحدة وهو ما يعجز عنه الفكر الغربي تماماً.

وفي الإسلام لا تناقض بين المثل الأعلى والواقع العملي للناس .. كذلك فالإسلام يجمع بين العقيدة والأخلاق ويرى الأخلاق من القيم الثابتة التي لا تتغير بتغير المجتمعات، وإنما الذي يتغير هو (التقالييد والعادات) التي هي من صنع المجتمع أما الأخلاق فإنها من قيم العقيدة الأساسية الثابتة.

كذلك فإن الإسلام يفرق بين (المعرفة) والثقافة، فالمعرفة عامة للبشرية كلها، أما الثقافة فهي خاصة بكل أمة، ومن هنا فإن الأمة تتبادل العلوم والمعارف، ولكنها لا تتبادل الثقافات التي هي في الأصل مرتبطة بالعقيدة وسلم القيم الأساسية لكل أمة.

والغرب عندما أخذ حضارة الإسلام لم يأخذ الثقافة، والمسلمون عندما ترجموا علوم اليونان تجاوزوا الفلسفات والمسرح والفنون إلا عندما انحرفت الترجمة على أيدي حنين بن إسحق وغيره.. واليابان الآن في نهضتها المعاصرة قد أخذت من الغرب العلوم والمعارف ولكنها ما تزال تحافظ على ثقافتها وقيمها وكذلك تفعل إسرائيل.

إننا نحن المسلمين لن نقبل التكنولوجيا والعلوم الحديثة إلا كمواد خام نشكلها في دائرة فكرنا ونشكلها وفق مفهوم الإسلام لحضارة الريانة.

لماذا يُطَالِبُ المسلمين والعرب بالتنكر لتراثهم وقيمهم وتاريخهم وأسلوب عيشهم وهم يتتفوقون على اليابان وإسرائيل بأنهم يمتلكون المنهج الرياني الخالد على الدور.

\* \* \*

## ٤٢ - لنا منهج يختلف

تبادرت في السنوات الأخيرة خطة التغريب والغزو الفكري الجديدة في مواجهة الصحوة الإسلامية، فقد كان الغرب بشقيه أو بعناصره الثلاثة: الغربية والماركسيّة والصهيونية يظن أن خطة التغريب قد أحكمت حلقاتها وأنها سقطت في سيطرة تامة على الأمة الإسلامية وحاصرتها من جميع جوانبها:

تعليمية: وذلك بفرض المنهج الوافد العلماني على نظام التربية الإسلامية.

واقتصادية: وذلك بفرض النظام الريسي على نظام القرض الحسن.

وقانونية: وذلك بفرض قانون نابليون على الشريعة الإسلامية.

كما فرضت نموذجها الغربي على المجتمع في أسلوب العيش والتعامل والاستهلاك .. وقد كان الظن أن المجتمع الإسلامي قد استسلم وأنه واد حصاره وإيمان وقيم أربعة عشر قرناً من الزمان صنع فيها الإسلام حضارة الرحمة والعدل والإخاء الإنساني وأخرج البشرية من الظلمات إلى النور.

ولكن التغريب بقواه التبشرية والاستشرافية كان واهماً حين ظن أن المسلمين قد قبلوا الذل وخضعوا للاحتواء واستسلموا للتبني.

وأنه في خلال العقود الخمسة من القرن الرابع عشر الهجري كانت حركة البقضة الإسلامية تكشف هذه الحقائق وتثير البصائر حول المفهوم المخالف، والمتعين، والجامع، والإنساني، والعالمي، مفهوم الإسلام الذي جاء به القرآن الكريم وبقيادة محمد صلوات الله عليه وسلم وكيف كانت البشرية اليومأشد حاجة إليه مما كان أمرها في القرن السادس الميلادي.

وبعد هذه الجولة الضخمة التي قادها الاستشراف تحت اسم الغزو الفكري والتغريب، في محاولة للتزييف مصادر الثقافة الإسلامية وإشاعة الشكوك والشبهات

وإحياء الفرق وفرض مفهوم التفسير المادي للتاريخ وفرض التيار القومي والإقليمي وما قامت به القوى الاستشراقية بإنشاء دائرة المعارف الإسلامية وما حشنته فيها من شبكات وسموم كل هذا قد تكشف أمره اليوم تماماً، وعلم المتفقون المسلمين أن هذه مؤامرة خطيرة تريد احتواء الإسلام فتغير مفاهيمه وقيمه ومثله، ل تعرض عليه منهاً غريباً انتشارياً، يجعله إلى الأديان البشرية أقرب، ولقد تبين للمثقف المسلم العالمي أن الهدف من المؤامرة هو الاحتواء، والعمل على صهر الأمة الإسلامية التي اجتبها الله تبارك وتعالى لتحمل رسالة التوحيد إلى العالمين وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها والتي حفظ لها ذكرها، هذه الرسالة التي توجه إليها الشبهات والاتهامات بأنها لا تستطيع تقديم حلول لمشاكل العصر، ظناً منهم أن الإسلام دين بشري قابل للتطور ويجب أن يكون مستسلماً للتغيرات العصر وقابلأً لتبرير واقع المجتمعات المضطربة في مرحلة من أشد مراحل الحضارة انهياراً وفساداً، ولو علموا أن النهج الإسلامي الرباني قادر على الاستجابة لكل متغيرات البيئات والمعصوب، وفيه من المرونة ومن القدرة ومن العطاء ما يدهش له هؤلاء المغرضون الذين تحاصر فكرهم تجربة الغرب من المسيحية وهي تجربة مختلفة تماماً، إنهم يهدون إلى نقل الإسلام من الربانية إلى البشرية، ومن النظرة الجامحة إلى الانتشارية ومن تكامل الروح والمادة إلى الفلسفات المادية الوثنية، إنهم يرون الإسلام وهو يقتحم معاقل الغرب وينفذ إلى الوجود، الأوروبي فيهزهم هزاً ويملا قلوبهم بالهلع، حين يرونـه يقتحم كل أرض وكل فكر، لأنـه هو الرسالة السمحاء المحكمة القادرة على العطاء .. وليس الفكر البشري الذي ينخبط أمام المتغيرات ويعجز أمام الأحداث ويحتاج إلى الإضافة والحدف.

إن غاية ما يطمعون فيه وهو مالم يتحققـه مهما فعلوا: إزالة التميـزـ الخاصـ والذاتـيةـ الإسلاميةـ، وإخـراجـ المسلمينـ منـ منـهجـ حـياتـهمـ .. إنـ نـظرـيةـ تـعـورـ الدـينـ والـلـغـةـ وـالـقـانـونـ لـيـسـ نـظـرـيـةـ عـلـمـيـةـ وـلـكـنـهاـ نـظـرـيـةـ الـأـمـوـاءـ وـالـمـطـاعـمـ الـتـيـ تـهـواـهـاـ الـأـنـفـسـ، وـإـذـاـ كـانـ الغـرـبـ قـدـ عـرـفـ هـذـهـ النـظـرـيـةـ فـإـنـ سـيـعـجـزـ أـنـ يـطـبـقـهـاـ فـيـ أـنـفـ

الفكر الإسلامي، لأن الإسلام نفسه قائم على العنصرين: الروح والمادة وقائم على المنهجين: الثواب والعقيرات. وهو جامع بين الإلهي والبشري، وفيه ما هو ثابت قائم كالأصول العامة وما هو قادر على الاستجابة للتطور وهو ما عرف بالفروع.

لن يقبل الفكر الإسلامي نظرية الفكر الغربي في الفصل بين الدين والسياسة أو بين العلم والدين، فالدين في الإسلام ليس لهوتاً خاصة بالعلاقة بين الله والإنسان. ولكنه يجمع العلاقات بين الإنسان والله وبين الإنسان والمجتمع، وهو لا يخالف في القوميات ولا العنصرية ولا الإقليميات؛ لأنَّه يربط هذه الحلقات جميعها بإطار الإسلام منطلقة منه وعائدة إليه.. وهو الجامع بين العقلانية والوجدانية جميعاً، ومن هنا فإن صراع المذاهب الذي عرفه الفكر الغربي حين كان الدين لأموريأً يصارع العلم أو يصارع القومية أو يصارع الروح أو يعلو من شأن الإنسان أو العقل أو المحسوس والمادة، كل هذه قضايا يقف منها الإسلام موقفاً واضحاً وهو أنه النظرة الجامحة التي لا تتصارع فيها القيم ولكن تتكامل.

\* \* \*

## ٣٤- نحن أساتذة الغرب ولن تكون تلاميذه

إن التجربة التي أعطتها الحق تبارك وتعالى للحضارة الغربية قد حققت غايتها، لقد بدأ الغرب تجربته بالمنهج التجريبي الذي صنفه المسلمين والذي عبر بحر الزقاق إلى الأندلس ونما فيه وتطور من خلال جامعات أشبيلية وقرطبة وما لفtherا .. ثم أخذه الغربيون بعد أن أفرغوا الأندلس من العرب والمسلمين وأغلقوا هذا الباب تماماً ثم مضت التجربة إلى غايتها من خلال إطار وثنى يوناني روماني في الفلسفة، ويهودي مسيحي في اللاهوت، وقادت الحضارة الغربية على أساس فردية فكان أن أعادت حضارة اليونان والرومان في عناصرها الثلاث الأساسية:  
الأولى: الوثنية .. الثانية: الرق .. الثالثة: الربا.

كانت حضارة اليونان والرومان والفراعنة تقر عبودية البشر وعبودية البشر للأوثان وقد تجدد هذا تماماً، معارضًا مفهوم الحضارة الإسلامية التي جاءت لتقر التوحيد محل الوثنية، والإباء البشري محل الرق، والتعامل بالرحمة والعدل محل الربا.

لقد أعادت الحضارة الغربية القيم التي دمرت الحضارات اليونانية والرومانية والفارسية والفرعونية ولكن غلقتها بقفاز من حبر.

وما زال الغرب يرى أنه الجنس الأبيض صانع الحضارة المستعلية على الأجناس .. وهذه هي نظرية (روما سادة ومن حولها عبيد).

وما زال الغرب يمعن في تعدد الآلهة وعبادة الجسد الجميل ويقيم حضارته على أساس ثورة الجنس وعلى المعدة وحيوانية الإنسان.

إن هذه الدعاوى كلها لا تزلزل قلوب المسلمين الوائقة في رسالة محمد ﷺ وفي صدق القرآن ونصلح الموثق وفي أن الإسلام خاتم الأديان ورسوله خاتم المسلمين.

كل هذه المحاولات التي تدعى دعوى النبوة، أو تحاول أن تجعل من القاديانية أو البهانية ديناً بديلاً للأديان، كلها زائفة وأباطيل وشبهات، فالإسلام في مفهومه الأصيل لا يقر هذه الدعاوى التي يرددوها أصحاب مذهب وحدة الوجود والحلول، أو دعوة التناصح أو الذين يرددون كلمات الاتهام لل المسلمين بأنهم يخضعون لتقايد بالية، كل هذا مخطط معروف هو الآن مكشوف أمام شباب الإسلام لا تخفي منه خافية.

إنهم يحاولون محاربة النبوة الخاتمة، والتشكيك في الوحي وإثارة الشبهات حول صحبة رسول الله، وابتئاث كلام الباطنية والزنادقة والملحدة والفلسفية القدماء وكلام الفرق القديمة الذي انتهى وانهزم وتقضى عليه مذهب أهل السنة والجماعة.

وإن شبابنا المسلم يعلم أن هناك فارقاً بين المنهج وبين التطبيق فالمنهج الإسلامي رباني المصدر، عالي النزعة، إنساني الوجهة، له طوابعه السمحاء، وأطراه الواسعة، وقدراته على العطا في مختلف البيئات والerases .. أما تاريخ الإسلام فهو تجربة بشريّة فيها الخطأ والصواب وهي ليست حجة على الإسلام ولكن الإسلام هو الحجة عليها .. فإذا التزم المسلمون بمنهجهم انتصروا وعزوا وإذا خالقوه انهزوا وزلوا، فإذا عانوا عليه عاد إليهم النصر.

ونحن الآن في هذه المرحلة .. مرحلة الضعف والتخلف التي ليس لها من سبب غير سبب واحد هو مقارقة منهج الله وتجاوزه بخداع من قوى تكره الإسلام بدعيّ أن المنهج الغربي الحديث هو الذي يستطيع أن يعطي المسلمين القوة لمواجهة التحوز الوافد، وقد كذبتهم الأحداث .. فإن تجربة الولاء والتبعية لم تزد المسلمين إلا ذلاً وتفرقاً، وقد كانت نكسة ١٩٦٧ هي نقطة النهاية فقد تبين لل المسلمين أن كلا التجربتين لم تستطع أن تعطي المسلمين شيئاً وأن عليهم أن يعودوا إلى منهجهم الأصيل هذه العودة هي التي نسميها الصحيحة وهي التي تجد

عداء من خصوم الإسلام ومن أتباعهم الذين يقدّمون الإسلام نفوذهم، فهي محاولة ماكرة خبيثة سوف تكتب فيها الهزيمة لأعداء الحق ..

وال المسلم لا يعرف اليأس ولا القنوط، لأن دينه هو الذي فتح أمام الإنسان باب الأمل والتفاؤل والثقة بالله: « قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ » ..

ونحن نؤمن بأن الإسلام دين الإنسانية ودين الغد، وأن الجولة له والنصر معقود بالتزام المسلمين له، والخروج من روح الاستسلام للحضارة المنهارة والتحلل والترف وعوامل الجشوع والطمع والكسب الحرام.

إن هذه المحاولات التي تجري عن طريق وسائل الترفيه والتسلية من إشاعة روح الرقص، وشعارات الفرعونية، وإعلاء شأن هانز اندرسون كزعيم للأطفال، كل هذا مرفوض، ومريود، فإن مصر لن ترجع وثانية مرة أخرى، ولن تخضع مصر ثوبها الإسلامي للتعود إلى مفاهيم لا توجد إلا على أحجار التماضيل، فالفرعونية عصر وليس فكرة.

ومهما كانت أهمية السياحة فإنها يجب أن لا تغير القيم والمفاهيم بهذه مرحلة في تاريخ مصر ليس لها ثقافة ولا لغة ولا عودة.

إن أخطر ما يواجهنا اليوم هو قبيل روح الاستسلام والتبعية للفكر الغربي والحضارة الغربية وإيثار السلامة على المعاناة، والبحث عن سعادة زائفة في برامج اليوجا والرقص ونسسي أن ظاهرة الجريمة والجنس البارزة في أفلام السينما والمسرحيات هي التي خلقت في وجдан الشباب إيماناً بشرعيتها وتقاليدها، وهامي الأحداث اليومية التي تنشرها الصحف تكشف عن اندفاع عدد من فتياتنا للإغراء وسقوطهن في الأخلاص المنصوصية، نتيجة قراءة قصص الجنس وسماع ورنوة مسلسلات ترسم بآدائها الطريق إلى الوقوع في الخطأ، إننا في حاجة إلى توجيه لحماية هذه الأجيال وتحذيرها، إن الآباء والأمهات مسؤولون

مسؤولية حاسمة أمام وجهة أبنائهم وبناتهم .. وعلى الصحافة والمدرسة ووسائل الترفيه والتسلية أن تسلك نفس الطريق.

إن هذا القدر الضخم من الأفلام المطروحة أمام شبابنا في التليفزيون يومياً توحى بأشياء خطيرة أقل ما فيها أن تهدم (الذاتية الإسلامية) الخاصة لمجتمعنا بكل قيمه وعاداته، فما حاجتنا إلى أن تملأ قلوب أبنائنا إعجاباً بمجتمع غريب يحمل في حقيقة أمره وسائل الهمد لقيمنا وأخلاقنا، إن هذه الأفلام يجب أن توقف، فهي تعطي في أساسها احتقاراً للشعوب واستعلاء للرجل الأبيض الأوروبي الذي أباد الهنود الحمر وأباد الرقيق الذي استقدمه الغرب من إفريقيا.

وسواء أكانت هذه الأفلام ليبرالية أو ماركسية فهي تحمل الكراهية للعرب والمسلمين والملوكيين من أهل آسيا وأفريقيا وتعلّي شأن الغربي فارس الحضارة وتبّرر عمليات الإبادة والسيطرة على الشعوب واحتلال الأرض وفرض المبادئ بقوة السلاح.

إن الشباب المسلم المثقف يفمن اليوم بأن التجربة الغربية كلها قد انهارت تماماً، وأن الحضارة الغربية تمر باشد مراحلها قتامة وتمزقاً، وفي نفس الوقت يطالبنا زكي نجيب محمود، وفؤاد زكريا أن نتبعها وتنصهر فيها وأن ننسى كل تراثنا وقيمنا ونتجاهل تاريخنا وعقيدتنا حتى يرضى عنا الغرب ويستريح، ويعرف أنه سيظل لعشرات السنين قادر على استنزاف ثرواتنا، وتقليل نسلنا، وهدم مقوماتنا بالاستسلام تماماً والانصهار تماماً.

ولو أن هؤلاء المفكرين عرضوا أهواهم هذه على المنهج العلمي الذي يدعونه لوجدوه سراياً خادعاً، وذبيداً رابياً، فقد أدت الحضارة الغربية بورها واثبتت عجزها عن العطاء الصحيح للإنسان خلال خمسة قرون وبورة الحضارة لا تختلف وسفن الله في تدمير من يعجز عن اتباع منهجه لا تتوقف وشأن الحضارة الغربية وأهلها والدعاة لها هو شأن كل الخارجين على منهج الله.

أما المتسكين بمنهج الله الصامدين، القائمين عليه، المدافعين عنه، الكاشفين  
لسموم أعداء الإنسانية فإنهم هم الصادعون بالحق لهم أجرهم ونورهم.

\* \* \*

## ٤٤ - في مواجهة المؤامرة على الصحوة الإسلامية لابد من بناء قواعد الأساس

إن المؤامرة على الصحوة الإسلامية تدخل مرحلة جديدة من مراحل الاستقطاب الواسع عن طريق التشكيك في سلامة القيم الإسلامية ومحاولة إثارة الشبهات حولها عن طريق أسماء لامعة وصحف واسعة الانتشار والمخططات كلها ترتكز على الشباب المسلم الذي لم تستطع المناهج الدراسية أن تقدم له الحصانة والحماية من الاستقطاب والاحتواء، فوجب عليه أن يحمي نفسه باستكمال التقص في ثقافته وتصحيح الأخطاء التي ربما يظن هو أنها مسلمات علمية أو حقائق أساسية. بينما هي لا تعود أن تكون نظريات وفرضيات قدمتها العقول البشرية بكل ظروفها الخاصة والتحديات التي تواجهها والبيئات التي تعيش فيها .. ومن ثم فإنها لا يمكن أن تقبل بعثابة علوم أو حقائق علمية وليس هناك ما هو علم حقيقي غير تلك التي تقدمها المعامل والأنابيب في مجال العلم التجريبي، أما هذه الفلسفات البشرية التي تحمل طابع العلم الظاهر أو التي تقوم على ركائز من بعض النظريات العلمية فإنها إن ثبتت اليوم فلن تثبت غداً، لأن العلم دائم التغير والنظريات الفلسفية المستمددة منه في مجال الاقتصاد أو الاجتماع أو التربية أو التاريخ سرعان ما يواجهها مأزق خطير هو «متغيرات العصر» التي تستدعي إعادة النظر في هذه المقررات بالإضافة والحذف وهو ما يواجه هذه الأيديولوجيات كل يوم.

ولقد تنبه المسلمين في السنوات الأخيرة لهذه المحاذير والمخاطر وجرت محاولات كثيرة لتقديم تصوّر إسلامي لمفاهيم النفس والأخلاق والاجتماع والتربية يكشف عن الفوارق العميقة بين الرؤية الإسلامية القائمة على القرآن الكريم والسنّة النبوية وبين رؤى غربية متضاربة قامت وتقوم على الفلسفة اليونانية والرومانية

وال الفكر اليهودي والمسيحي الذي نقل إلى الغرب بعيداً عن أصوله التي جاءت بها الأديان السماوية والذي تصارع مع العلوم الحديثة في معركة ضخمة طويلة، انتهت بقيام العلمانية الغربية التي أدارت ظهرها لمقررات الأديان جملة وأنشأت مناهجها الخاصة على أساس عدم الاعتراف بعالم الوحي والنبوة والغيب ومقرراته، والوقوف عند المحسوسات وحدها وإعلاء شأن العقلانية، والتنكر التام لكل ما يتصل بالوجود والروح وعالم الغيب، بل لقد ذهبت إلى أبعد من ذلك إذ تذكرت للمسؤولية الفردية والالتزام الأخلاقي وأقررت نظرية النسبية الأخلاقية والتطور الدائم بينما يقرر الإسلام قاعدة الثواب والعقاب و يجعل الفرد مسؤولاً عن عمله، وليس المجتمع.

ولقد تدارست مؤتمرات كثيرة جمعت ثلة من علماء المسلمين مفاهيم العلم الإنسانية والاجتماعية وكشفت عن تعارضها مع مفهوم الإسلام ودعت إلى ضرورة التحرر منها بتقديم البديل، وارتقت صيحة أسلمة العلوم والمناهج والمصطلحات باعتبارها الخطوة المقررة اليوم في عالم الإسلام بعد قرن كامل من الحوار مع المذاهب الغربية ودحض شبهاها والكشف عن انحرافها الذاتي وعن مفاسيراتها للوجود المسلم الذي ربّاه القرآن الكريم أربعة عشر قرناً على تصور رباني عميق.

إن التفозд الأجنبي يحتشد اليوم للتأمر على الصحوة الإسلامية ويصعد من ضرباته، ويركز أسهمه المسمومة على الساحة الإسلامية دون أن يدرى أن هذه السهام سوف ترتد إلى صدره، وأن هذه الصحوة التي تنطلق متجردة من المطامع والأهواء والتي لا تبغي إلا وجه الله وحده، لن تستطيع أي قوة أن تدميرها: «**بِرِيشُونَ لِيُطْلِقُوا نُورَ اللَّهِ بِأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ مُتَّمٌ نُورٌ**» .

لقد تأكد في مجال النظر إلى خطوات الصحوة وتطورها واتساع آفاقها في قارات العالم الخمس، أنها تقوم فعلاً على أساس حقيقة بنادها من قبل أولئك

الأبرار الذين سبقوه على الطريق: محمد بن عبد الوهاب، وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبد وحسن البنا وعبد الحميد بن باديس والموبدوي والذبوبي وغيرهم، وأنها تدخل اليوم مرحلة بناء الأسس، ويبعدوا ذلك جلياً واضحاً في تلك المقررات التي قام بإعدادها علماء المسلمين في مجال تقيين الشريعة الإسلامية وبناء المنهج الاقتصادي الإسلامي وفقه المرأة، وأسلمة العلوم والمناهج، والكشف عن أوكيار التغريب والاستشراق والتبيشير والروتاري والمسؤلية والبهائية والقاديانية على طول خريطة الأمة الإسلامية وعرضها امتداداً من أرخبيل الملايو إلى رباط الفتح، وتصحيح بوادر المعارف وخاصة دائرة المعارف الإسلامية التي كتبها عتاة المستشرقين، وما تحمل من سموم، والعمل الدائب على استكمال ما نقص من المناهج وتصحيح ما أخطأه، ولابد من التعرف على مخططات الحوار ووحدة الأديان وادعاء النبوات والتعرف على نوافع توسيع نطاق دعاة العقلانية من ناحية وبالباطنية من ناحية أخرى وأثر ذلك كله على سعي المسلمين إلى بناء وحدة إسلامية جامعة تكون بمعنابة القلاع الحامية لدعوة التوحيد.

ولابد من التعرف على مخططات الرأسمالية العربية والمصهونية العالمية والشيوعية ونمطاع كل منها في إزالة المقدسات الإسلامية والتمييز الخاص بهم من أجل صهرهم في بوتقة الحضارة العالمية التي تمر بمرحلة الغروب.

إن مخططات مقاومة الصحوة الإسلامية تتكتشف يوماً بعد يوم من أجل: أولاً: الحيلولة دون وصول مفهوم الإسلام الأصيل الجامع سليماً إلى الغرب والحصول من بعض علماء المسلمين على اعترافات بأنه لا خلاف بين الإسلام وغيره من الأديان.

ثانياً: محاولة إعطاء المسلمين صورة براقة لمناجم الغرب التي تتسلط يوماً بعد يوم كثوداق الخريف وتنهزم أمام مقاومات الإسلام (نظيرية دارون، مذهب فرويد، الماركسية).

**ثالثاً:** التنكر للدور الذي قام به المسلمون في بناء قواعد العلم والحضارة بتقديم المنهج العلمي التجريبي ومنهج المعرفة ذي الجناحين ومنهج قيام الام والحضارات وسقوطها الذي قدمه القرآن الكريم وعشرات من فتاوى الفقهاء المسلمين التي حولتها الغرب إلى قوانين دون أن يعترف بمصدرها.

**رابعاً:** قيام أعداء الإسلام بطبع التاريخ الإسلامي وتغريبه من روح الإيمان التي صنعت الفداء وغيرت وجه البشرية بتفسيره من خلال مذاهب مادية تطفئ نوره وتظهره بمظهر غير مظهره الحقيقي.

**خامساً:** إثارة الخلافات والشبهات حول (أصول) الشريعة الإسلامية وحول تطبيقها خلال أربعة عشر عاماً دون توقف، حتى أوقفها الاستعمار الذي فرض قوانينه الوضعية.

**سادساً:** محاولة القضاء على روح الفداء والبذل والاستشهاد بإيماناً بأن هذه الأمة في رباط إلى يوم القيمة، وذلك بإثارة أجواء الانحلال والترف والرخاوة بين الشباب المسلم حتى لا يكن قادرًا على المرابطة في وجه الأعداء والمخاطر.

**سابعاً:** الحملة على القرآن الكريم أساساً، وإثارة الشبهات حوله، وإثارة دعاوى بشرية القرآن بين عديد من التغريبيين، وكذلك الحملة على الفصحى لغة القرآن ومحاولات خلق لغة وسطى أو إحياء العاميات في المسرحيات وأدوات الإرسال.

**ثامناً:** سيطرة مفاهيم ديني على مفهوم التربية بتجريد هذه المناهج من الدين والأخلاق، والتوسيع في تاريخ الأمم السابقة على الإسلام وتوسيع تاريخ أوروبا.

**تاسعاً:** تضليل دائرة المؤسسات العلمية الكبرى: الأزهر والزيتونة والقرنيين وفرض مناهج غربية عليها في مجال القانون والأدب والتاريخ.

وقد ترددت هذه المخططات في عشرات من الوثائق الغربية الاستعمارية منذ كنومر إلى اليوم، وجرى استخدام المعاهد الاستشارافية لتكوين الكوادر والإرساليات الغربية التبشيرية التي تخفي تحت أسماء براقة لتكوين الأفراد الذين سيطروا على مقدرات الفكر والثقافة والصحافة.

إن المحاولة كلها ترمي إلى: (القضاء على الذاتية الإسلامية المتميزة) .. التي صنعتها الإسلام، من أجل إدخال المسلمين في بوتقة الاحتواء والانصهار والمحصار حتى لا يستطيعوا إقامة منهجهم أو بناء مجتمعهم أو تبلیغ رسالتهم «**وَمُكْرِنُونَ وَيَمْكُرُونَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**» .

إننا في حاجة إلى أن نعرف هذه الحقائق، واتجاه الريح، حتى لا تقاجتنا الأحداث وتكون قادرين على الصمود في وجه الزوابع والأعاصير التي ترمي إلى تعويق مسيرة الصحوة الإسلامية أو تعريضها أو إجهاضها.

وليس لدى المسلمين على مهمتهم التاريخية الثقيلة غير معونة الله تبارك وتعالى؛ هذه المهمة هي الثبات واليقين بأنهم على الحق، وبيان نصر الله لابد آت و قريب: «**حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرَّسُولُ وَظَلَّلُوا أَنْهُمْ قَدْ كَذَّبُوا أَثَامُهُمْ نَصَرَنَا**» .

فلنكن مؤمنين بأمتنا وعقيدتنا ووطننا لا نرجو إلا الحق والخير ندعوا إلى الله على هدى وبصيرة بعيداً عن التعصب أو الانحراف على طريق الله المستقيم بالحكمة والوعظة الحسنة «**وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَتَّصَرَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌ عَزِيزٌ**» ..

«يحمل هذا العلم من كل خلف عوله، ينفون عنه تحريف الفالين، وانتحال البطلين وتأويل الجاهلين» حديث شريف..

\* \* \*

## ٤٥- قضايا عالمية ورأي الإسلام

مناهج (الفلسفة، الاجتماع، النفس، الأنثربولوجيا) هل هي علوم أم نظريات؟  
(أخطار تبني الجامعات لمناهج العلوم الإنسانية الواقفة)

\* \* \*

كان من أهم ما دار في الملتقى الإسلامي للإسلام والعلوم الإنسانية والاجتماعية في الجزائر موقف الجامعات من تبني المفهوم الواقف لهذه العلوم والأخطار التي تعود من ذلك على ثقافة الشباب المسلم وعلى حياته وعلى فكره، ومن هنا كانت الصيحة التي ردتها جنبات الملتقى من أكثر من مائة عالم وباحث من مختلف أقطار الأمة الإسلامية بالتحذير من الآثار الخطيرة التي تترتب على هذه التبعية لفكرة يتعارض أساساً مع مفاهيم الإسلام والقرآن والفطرة الإنسانية.

ولقد تبين بطلان القول بوحدة الفكر الإنساني أو الثقافة العالمية؛ ذلك لأن مصدر الوحدة في الحقيقة هو العقيدة والقيم والأخلاق، ولما كانت هناك فوارق عميقة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي فإنه من غير الصحيح أن يبني المسلمون مناهجهم على أساس فكر يختلف اختلافاً واسعاً مع عقيدتهم.

ومن هنا جاءت صيحة التحرر من مفاهيم العلوم الإنسانية الواقفة بعد أن كشف الغرب نفسه عن أنها خلال تجربتها لم تتحقق الهدف نظراً لقيامتها على الفروض ووجهات النظر البشرية والأمواء والاعتماد على الأساطير القديمة والخرافة التي تمثل طفولة البشرية، وإذا كان هذا هو ما دفع الغرب إلى إعادة النظر في علوم الإنسانية والاجتماعية فإننا نحن المسلمين لنا ضوابط أخرى يختلف معها هذا الفكر تماماً من أهمها:

أولاً: تعارضه الواضح الصريح مع مفهوم التوحيد الخالص (النبوة والوحى).

ثانياً: مضادتها للفطرة.

ثالثاً: خطئها في تصوير الإنسان والقول بأنه مادة وأنه خاضع للشهوات وغير قادر على التحرر منها.

رابعاً: إنكار الفكر الغربي لمسؤولية الفردية والالتزام الأخلاقي والجزاء الأخرى وإقامة منهج المسؤولية الجماعية: مسؤولية المجتمع (وهي التي لا يقرها الإسلام).

ذلك فإن هناك فساداً في المنهج العلمي نفسه المدعى دانماً كذباً وبهتاناً أنه موضوعي وذلك لما عرف عن الفكر الغربي من فصله بين النظرية والتطبيق وبين القول والعمل، «يا أيها الذين آمنوا لِمَ تَفْعَلُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرْ مَفْتَأْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَفْعُلُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ». ومن إخضاع العلوم الإنسانية للمنهج المادية والتجريبية فضلاً عن «الفكرة المسبقة» التي تعلّم عقول الباحثين الغربيين في الدراسات الإسلامية حيث يبدأون بهدف هدام، ثم يعملون على البحث عن نصوص مقطوعة عن أصولها للاستدلال بها، مما يؤكد أن المنهج الغربي - غير الموضوعي - على الأقل في مواجهة الإسلام - يقوم على الهوى والظن.

ولقد خطت حركة اليقظة الإسلامية في خلال القرن الرابع عشر الهجري خطوات في سبيل الكشف عن فساد وجهة العلوم الاجتماعية والإنسانية الغربية وأنها ليست علمًا حقيقياً وليس أصيلة وليس عالمية وليس صالحة لأمم أخرى غير أممها وبقي اليوم أن ينتقل المسلمين إلى مرحلة بناء المنهج الإسلامي في هذا المجال، كذلك فإن النظرة الانتقائية التي طرحت (من حيث الجمع بين خيوط من الفكر الإسلامي والفكر الغربي) لن تؤدي إلى شيء لاختلاف الأسس التي تمكن من ذلك خاصة مع عقائد الغربيين عن نسبية الأخلاق والجبرية الاجتماعية، ومن هنا فإننا لا نرى أن هذا الركام تحت اسم العلوم والأيدلوجيات ليس إلا نظريات وفرضيات فلسفية تستدعيها أساساً إلى القيام (أولاً) بتصحيح دائرة المعارف

الإسلامية (التي جمعت سعوم الاستشراق) .. (ثانياً) أن لا نسمح بترجمة أي كتاب في هذا المجال ما لم يقدم له بدراسة العصر والمؤلف والعوامل التي دعت إلى كتابته، وكذلك فعل الغربيين عندما ترجموا التراث الإسلامي في أول النهضة وحين وضعوا أساساً حاسماً حين قال لهم البابا: «خنوا علوم المسلمين ولا تخنوا دينهم».

وغير صحيح أن المسلمين قبلوا الفكر اليوناني بعد ترجمته بل الحقيقة أنهم وقفوا منه منذ اليوم الأول موقف المعارضه واعتبروا الفلاسفة أمثال الفارابي وابن سينا والكتندي وابن رشد من المشانين اليونان.

وذلك لاختلاف الأرجانون اليوناني عن المنهج الإسلامي في أبرز مفاهيمه وقيمه «وهو التوحيد وتحرير الإنسان» في مواجهة علم الأصنام وعبودية الإنسان الفكرية والجسمية فقد كان الرق عند أرسطو وأفلاطون أساساً ضرورياً للمجتمعات، وكانت الديموقراطية اليونانية خاصة بالساسة الذين يجلسون في القمة والتي ترى أن العبد عبد ولو تسنم أعلى المناصب، والسيد سيد ولو استعبد، ولم يكن هذا مفهوم اليونان والرومان وحدهم، ولكنه كان مفهوم كل الحضارات التي سبقت الإسلام فارسية وهندية وفرعونية.

ومن هنا جاء الإسلام ليحطم هذه العبودية، وبعثة بعث جديد للإنسان ومن هنا فقد كان كل ما سبقة مقدمة له، ومن هنا قال العلماء بمفهوم (الانقطاع الحضاري) بين ما قبل الإسلام وما بعده حيث أن هذه الثقافات واللغات القديمة قد ولت وانطوت وأصبحت ركام الزيف والخرافة وطفولة البشرية «وهذه التي جاء يجددها التغريبيون تحت أسماء الفلكلور أو الأنثربولوجيا».

وهكذا نجدنا في مواجهة ما يسمى علم الفلسفة أو العلوم الفلسفية التي تدرس الآن في جامعاتنا ومعاهدنا لتزييع قلوب أبناء المسلمين بتقديم مفاهيم زائفة من الفكر الأفلاطوني والباطلني والمجوسى والفنوصى يتحدث عن العقول العثرة

وعن الفيض، وكلها ريف ما كان لها أن تشكك أبنائنا في مفهوم التوحيد الخالص، حيث تتصل بوجدة الوجود والحلول والاتحاد، وكتابات الحلاج وأبن عربي من ناحية وكتابات ابن سينا والفارابي وتتصل بالقرامطة والمزركية والمانوية ورسائل إخوان الصفا والتصوف الفارسي والفكر الباطني جملة.

وقد كان حقاً لنا أن لا نعود إلى هذا الركام بعد أن كشف المسلمون منذ القرن الرابع المجري فساده وقد حطم الإمام الفزالي دعوى الإباحيين والباطنين، ورد ابن تيمية على منطق أرسطو وكشف عن منهج القرآن في الحاج والجدل، ولكننا نجد في العصر الحديث محاولة إحياء هذه النظريات وبعد أن أسقط الغربيون منهج أرسطو جاء الاستعماريون في بلاد الإسلام ليفرضوه على المسلمين، ويعنفهم من المنهج التجاري الذي كانوا هم صانعيه ومحاولة حشو أذهانهم بالفكر الباطني وإحياء وحدة الوجود والحلول والاتحاد والتصوف الفارسي الذي عمل فيه مستشرق وهب حياته كلها له .. فترك أثاراً تبدو اليوم خطيرة فقد أحيا أمثال روزبهان الشيرازي وغيره من الغلة وما ينتجه عن ذلك مما كتبه كوربان عن الفن والنظرة الجمالية وقد صبح علماء المسلمين الموقف من التصوف فقالوا: نحن أتباع النصوص لا أتباع الفصوص، واعترفوا ببدور الصوفية في الجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام ومواقدم الحاسمة في العروبة الصليبية وصححوا المعادلة بين المنقول والمعقول وجعلوا المعقول متنقاً مع المنقول والمنقول هنا هو الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلقه ..

وما يدرس في جامعتنا عن الفلسفة يضعنا ويضع فكرنا الإسلامي في موضع التبعية، والانحسار بين الفكر اليوناني والفكر الغربي المادي الحديث وهو ليس كذلك إطلاقاً أما مفهوم العلم الذي يدرسه أبناؤنا فهو العلم المفرغ من الإيمان بالله.

فكلهم ينكرون الدين فيراه ماركس انعكاساً للظروف المادية ويراه دور كايم

ظاهرة اجتماعية وأن الإنسان عندما يعبد الله فإنما يعبد المجتمع.

ومن هنا تحدث الازدواجية بين ما يقول به الإسلام والقرآن من خلق آدم وما تقوله نظرية دارون، وما من واحد من مؤلاء: دارون، فرويد، دوركايم في شئ نروع العلم الذي يدرس إلا متعارضاً مع مفاهيم الإسلام.

فضلاً عن ذلك الفصل الواضح في العلوم الغربية بين العقل والقلب وبين البعد العقلي والبعد الروحي الذي يرونـه (بعد الخيال والظنون)، لأنـ يدخل في نطاق المحسوس، ومن ثم فإنـ الوحي والنبوة من الأمور المهزولة. ففي الغرب يقولونـ: أعتقد وأنت أعمى، أو أغمض عينيك واتبعـني، أما في الإسلام فهناك «**قُلْ هَاتُوا بِرُهَانَكُمْ**»، فالعقلانية والروحية يتعانقان في الإسلام.

إنـ نقلنا مفاهيم الغرب في مجالـات النظر الفلسفـي أو العقلي أو الروحي فإنـنا نجد مفاهيم مختلطة، منها مفاهيم علم الأصنام اليونانيـ، ومفاهيم المسيحية النسطورية ومفاهيم أـفلاطون ومدرسة الرـها الفنـوصـية، فلا يمكنـ حين تختلط هذه المفاهـيم في الإسلام على أيديـ المعـتـزلـة أو الـبـاطـنـية أو دـعـاةـ الجـبـرـ أو الـقـدـرـ أو الإـشـرـاقـ أوـغـيرـهاـ منـ هـذـهـ التـقـلـيـاتـ المـخـطـرـيةـ لاـ يـمـكـنـ أنـ نـجـدـ فيـ هـذـاـ كـلـهـ ضـوءـ منـ الإـسـلـامـ النـقـيـ الصـحـيـعـ القـائـمـ عـلـىـ التـوـحـيدـ الـخـالـصـ بلـ نـجـدـ مـفـهـومـاـ مـخـتـلـطاـ مـلـفـقاـ يـمـكـنـ تـسـمـيـتـهـ (التـجـسـيمـ)ـ وـهـوـ الـذـيـ أـطـلـقـ عـلـيـهـ عـلـمـاءـ الـمـسـلـمـينـ اـسـمـ التـشـيـيـهـ، الـذـيـ جـاءـ الإـسـلـامـ لـيـحـرـدـ الـبـشـرـيـةـ مـنـهـ اـرـتـقـاعـاـ بـالـعـقـلـ الـمـسـلـمـ إـلـىـ الـإـيمـانـ بـالـقـيـمـ الـرـوحـيـةـ الـعـلـيـاـ عـلـىـ نـحـوـ عـالـمـ الـغـيـبـ، الـذـيـ هـوـ مـنـ أـسـمـ الإـسـلـامـ الـأـصـلـيـةـ «**آتـمـ \* ذـلـكـ الـكـيـابـ لـاـ رـبـ فـيـهـ \* هـذـىـ لـلـمـتـقـيـنـ \* الـذـيـنـ يـؤـمـنـونـ بـالـقـيـبـ**» ..

فقد قـدـمـ لـنـاـ الإـسـلـامـ تـصـوـرـاـ مـيـتـافـيـزـيـقاـ غـيـرـاـ كـامـلـاـ فـاغـنـانـاـ عـنـ الـبـحـثـ عـنـهـ وأـمـرـنـاـ بـالـإـيمـانـ بـهـ، وـهـوـ مـاـ يـتـصـلـ بـعـالـمـ مـاـ وـرـاءـ الـمـادـةـ، وـهـوـ الـأـمـرـ الـذـيـ خـاصـ فـيـهـ الـفـلـاسـفـةـ وـأـثـارـوـ الـشـيـهـاتـ وـأـفـسـدـوـ عـقـولـ مـنـ أـمـنـ بـهـمـ، وـضـلـلـوـ وـأـضـلـلـوـ لـمـ يـصـلـلـوـ إـلـىـ شـيـءـ، لـاـنـ اللـهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ وـحـدـهـ هـوـ الـذـيـ يـعـلـمـهـ، وـلـقـدـ أـعـطـيـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ

المسلمين هذا التصور، حتى ينصرفوا عن البحث فيه إلى البحث عن عملهم الحقيقي في الحياة وهو السعي والعمل.

### الفلسفة الحديثة:

ومن هنا فإن هذا الخليط كله الذي يدرس تحت اسم علم الكلام أو الاعتزاز أو الفلسفة القديمة هو أمر يجب أن تتحرر منه المناهج التعليمية والجامعية. ومن هنا فقد جاءت الفلسفة الحديثة قائمة على إنكار كل ما وراء الحس والمادة وتعدّدت المدارس التي تنكر الغيب والوحي والتنبؤ والروحيات جميعاً، حتى قالوا: إن العقل هو أسمى نتاج المادة والعالم لم يوجد إلا اتفاقاً ومصادفة وقد كان هدف هذه المدارس المادية سواء في علم الاجتماع أو النفس أو الأخلاق تعويض أركان العقيدة الدينية والاعتزاز بالعقل والعلم وظهور التفسير المادي للتاريخ الذي يقوم على أساس أن نمو الحياة البشرية (فردية وجماعية) يتوقف على الظروف المادية والاقتصادية وأن الصراع بين الطبقات هو الذي يحكم سير التاريخ.

### علم الاجتماع:

وبالنسبة لعلم الاجتماع فقد أخذ المسلمين منطلقاً - ليس من حيث انتهى ابن خلدون بل بما كتبه دوركايم اليهودي الذي كان يكره ابن خلدون ويحقد عليه ويصفه بـ «واسف نقلها عنه طه حسين في كتابه (فلسفة ابن خلدون الاجتماعية) حيث أخذت المدرسة الاجتماعية في فرنسا تقدم تفسيراً (تلوميدياً ماركسياً وفق بروتوكولات صهيون) وسار على نمطه كثير من العرب المستغربين ثم نشأت ناشئة من الأصالة تدرس علم الاجتماع على أصوله الإسلامية في مقدمتهم الاستاذ محمد المبارك والدكتور مصطفى حسنين وتوالى الباحثون.

وفي مجال علم النفس كتب الاستاذ محمد قطب وأخرين ووصل حسن الشرقاوي إلى دعامتين أساسية لعلم نفس إسلامي كذلك، فقد درس شيخنا الدكتور محمد عبد الله دراز منهج الأخلاق من القرآن الكريم قارن في بحثه بين منهج الإسلام وجميع المناهج الغربية وكشف تقصيرها وفسادها.

وكل هذه حفريات يجب أن تتسع، في مجال الكشف عن الخلاف العيق بين أصول الفكر الإسلامي وأصول الفكر الغربي (المسيحي اليهودي اليوناني الروماني) ومنها علوم قامت من أجل تركيز نفوذ الاستعمار وقد استعملت نظرية دارون في هذا الصدد، كما استعملت نظرية جوبينيو في الأجناس من أجل انتقاد الأجناس الملونة وإعلاء الجنس الأبيض المستعمر وإعطائه الحق في نهب ثروات الأمم وكانت مفاهيم (الانثربولوجيا) قد نشأت بتشجيع ودعائية الاستعمار حتى يتمكن من قهر الشعوب المختلفة وامتصاص ثرواتها، وأن وظيفة انثربولوجي لا توجد إلا في البلاد الاستعمارية (على حد تعبير دكتور زيدان عبد الباقى).

وهذه المفاهيم تتناهى تماماً مع مفهوم الإسلام الجامع بين العوامل المادية والروحية فضلاً عن أن أعظم أحداث التاريخ التي غيرت المجتمعات كانت نتيجة للإيمان والعقيدة وتضحية النفس والمال في سبيل إحقاق الحق وهزيمة الباطل.

إن الحقيقة عندهم هو ما يمكن إدراكه بالحواس الخمس أما ما سوى ذلك فهو ليس بموجود أصلاً أو كالمدرر، أما الإسلام فقد أقام قاعدة عريضة قوامها العقل والوجدان وتجربة التاريخ حيث أفضل العلم ما دخل من العقل إلى القلب وحيث الإيمان بالفيبيات والإسلام هو الذي وضع قاعدة البرهان «**قُلْ هَآتُوا بِرُهَانَكُمْ**» ، والنظر في السموات والأرض «**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا**» ، ومنها انطلق المسلمون إلى بناء المنهج العلمي التجريبى، ومنهج المعرفة ذي الجناحين ومنهج قيام الحضارة والمجتمعات وعوامل انهايارها، فالإسلام بهذا هو مصدر كل العلوم والمناهج، قائمة على التوحيد الخالص وعلى أن الله تبارك وتعالى

هو خالق كل شيء، وهو الذي يدير هذا الكون لحظة بلحظة، ومن خلال القرآن الكريم نجد المفاهيم الأصلية الأساسية لعلوم النفس والأخلاق والمجتمع والتربية إلى جانب علوم السياسة والاقتصاد والقانون. وقد استطاع علماء المسلمين اكتشاف بعض القوانين والسنن الاجتماعية من خلال القرآن كما فعل الفزالي وابن تيمية وابن القيم وابن خلدون.

ولكثنا الآن في حاجة إلى توفير أكبر على هذه الدراسات على قاعدة استضافة العلم بنور الوحي والشرع، وقد أقام علماء المسلمين منذ وقت بعيد قاعدة أساسية هي أن لكل أمة شخصية تستمدّها من عقيدتها وأخلاقها وأن الأمم لا تنهر إلا ببناء الإنسان وأن من يعيش عصره يجب ألا يتقطع عن ماضيه، إبّاناً نطالب الأن بالسلمة العلوم والمناهج، وتقديم البديلة الإسلامية وتصحيح دوائر المعارف الغربية والوقوف من العلوم الإنسانية موقف الحذر، أما العلوم المادية فيجب أن ننقلها إلى دائرة الفكر الإسلامي ولغة العربية كمواد خام لصنعتها في دائرة عقيدتنا التي تختلف وجهتها عن وجهة الغرب.

وال المسلمين في العلوم التجريبية موقف أيضاً:

يقول جورج سارتون في كتابه تاريخ العلوم: إن هناك مساحة ٣٥٠ سنة متواصلة لل المسلمين (من ٧٥٠ - ١١٠٠) تبرز فيها أسماء «جابر بن حيان والخوارزمي والرازي والم Saunders والبيروني وابن سينا وابن الهيثم».

ومعنى هذا تأكيد أولية المسلمين في مجال العلم التجريبي، ومن هنا فإننا أصحاب منهج أصيل يسمح لنا باستيعاب العلوم التجريبية الغربية وإعادة صياغتها في إطار مفهومنا للعلم والحضارة.

١- التماس مفهوم التوحيد الخالص.

٢- بناء المجتمع الإسلامي على شرعة الله تبارك وتعالى.

٢- تأكيد روح الالتزام الأخلاقي والمسئوليية الفردية.

٤- الإيمان الصادق بمسئوليية المسلم إزاء تطبيق منهج الله تبارك وتعالى

وفي داخل هذا الإطار يمكن التحدث عن سلم الأوليات في إعادة النهضة والبناء، ومن هنا لابد أن يتشكل المنهج العلمي الإسلامي بمفهوم القرآن لا بمفهوم الغرب، إن الغربيين يلوحون لنا اليوم بالدخول في باحة العلم والتكنولوجيا بقصد مدخول هو أن نذوب في الحضارة الغربية ونقبل أوضاعها السائدة اليوم بكل أخطائها وتجاوزاتها. يريدون أن نضع مقدراتنا في هذا الآتون الموقد الذي يستهلك كل شيء ويصيّر إلى رماد تحت اسم الترف والاستهلاك وتبييد الثروات الطبيعية في آفاق المتع الزائفة حيث يحصل على أضعاف مضاعفة بينما المجموعة الكبرى من البشر يعيشون عيش الكفاف ويموتون جوعاً بالمليين كل عام ..

إننا إذا قبلنا احتواء الغرب نكون قد قضينا على ذاتيتنا الخاصة وانصرنا تماماً في البوتفقة الغربية في ساعات هزيمتها وانهيارها.

إن مفهومنا الإسلامي يتعارض مع الاستهلاك والتكميس وتدمير مقومات الأمة، فنحن لا نقبل هذا الاتجاه جملة ولنا وجهة أخرى تختلف.

\* \* \*

## ٦٤- نحن المسلمين .. ماذا تعطينا معركة حطين بعد ثمانية قرون ؟

إن الاحتفال بذكرى مرور ثمانية قرون على معركة حطين يعد علامة من علامات التوجه إلى الأصالة، والإيمان بقدرة هذه الأمة على استرداد حقها، وبناء متجدد للجهاد الذي هو فريضة قائمة إلى يوم القيمة وللدفاع وبناء الهياكل للقيام به، والمرابطة في التغور وللقدرة على الردع، وإيدان بأن هذه الأمة الإسلامية لا تبكي على الضيم، وأنها قادرة على أن ترد أكاذيب المستشرقين ودعاة الهزيمة من التغريبين الذين ينكرون تلك الصفحات المشرقة من بطولة هذه الأمة في مجال المحافظة على وجودها وعلى حماية وجودها، وعلى التجمع في سبيل امتلاك إرادتها وبناء مجتمعها من جديد، وهي دليل يضيء الطريق إلى إعادة ابتعاث تلك الصفحات الكريمة التي تكشف عظمة هذه الأمة وقدرتها على تصحيح تاريخها الذي حاول أعداؤها تزييفه وتغريغه من جوهره في مواقف كثيرة حيث تداعي الأحداث اليوم إلى النظر إليها وتحليلها وإلى جوار حطين، عين جالوت، وقضية الأندلس التي يعلو فيها صوت المؤذن بالله أكبر مرة أخرى تدعونا إلى أن نتحدث عن الدور الذي قام به المسلمون في بناء العلم والنهضة وقد كان وجودهم في الأندلس مما وفر على أوروبا سبعة قرون وما يزال علينا أن نفتح ملفات الدولة العثمانية التي حفظت الأمة الإسلامية أربعة قرون من الغزو الأوروبي بعد هزيمة الحروب الصليبية، وبذلك نرد على المضللين الذين لا يحلو لهم غير مهاجمة الأتراك والماليك وكلهما قام بدور بارز في حماية كيان الإسلام فالماليك هم الذين قصوا على بقايا الصليبيين والتتار وأوكار الباطنية الحشاشين وأعادوا للإسلام وحدته، والأتراك هم الذين حموا المغرب الإسلامي (تونس والجزائر والمغرب) من مؤامرات الفرنجة.

ما أحوجنا اليوم إلى تجديد صفحات تاريخنا الإسلامي الراخر بالبطولة، هذه الصفحات المضيئة التي مازالت مطوية حيث لا تتسع لها كتب التاريخ التي تدرس في مدارسنا والتي لا تعني إلا بالتركيز على الإقليمية وتقصي كلمة العربية محل كلمة إسلام في الحضارة والأدب والفكر والثقافة، تكيداً للمؤامرة المدبرة على فصل المسلمين في العصر الحديث (تحت الأسماء القومية) عن امتدادهم الإسلامي العريق خلال أربع عشر قرناً، في محاولة لإيجاد تاريخ إقليمي وقومي لن يستطيع أن يثبت أمام وحدة التاريخ الإسلامي الجامعة، ولن يستطيع أن يفرض وجوداً فرعونياً أو فينيقياً أو أشورياً أو بابلياً، ولن يستطيع أن يفصل بين العرب والترك والفرس والهنود والملاديو مهما حاولت ذلك مؤامرات الثقافة حين حاولت أن تصنف أعلام الإسلام تحت أسماء الأمم الحديثة، فالفارابي تركي والغزالى فارسي .. مع إخفاء الحقيقة التي لا سبيل إلى تجاهلها وهي أن المنظومة الإسلامية القائمة على التوحيد والقرآن والفصحي هي التي شكلت هؤلاء الأعلام الذين وسدو بناء الفكر الإسلامي استعداداً من الإسلام الذي قدم منهج العلوم التجريبية ومنهج المعرفة ذي الجناحين والذي أقام فريضة الجهاد لحماية الأمة الإسلامية من عدوان الفاقصين، من حيث إن أهل هذه المنطقة هم خير أجناد الأرض وإنهم في رباط إلى يوم القيمة، حماية لمنهج الله وقدرة على تبليغه للعالمين.

\* \* \*

وقد جاءت معركة (حطين) بعد استعداد طويل من المسلمين وتلبيث ودرأية، فجددت خطوات المسلمين في معاركهم الفاتحة وخاصة معركة فتح دمشق وغيرها، وكان صلاح الدين هو المرحلة التالية في الجهاد للخطوات التي قطعها «نور الدين الشهيد» الذي وسد لهذه المعركة الفاصلة بإعداد المسلمين وتربيتهم تربية إسلامية على مفاهيم الإسلام الصحيحة وتحريرهم من الفكر الإسلامي المضطرب قبل الفزوة الصليبية، وكان هذا هو المنطلق الحقيقي للأرض الإسلامية ورفع رأية المقاومة، حيث أقيمت مدرسة التسلح الخلقي التي تحاول أن تبني

الشباب المسلم على الإيمان العميق بالفداء في سبيل حماية وجود الأمة، وذلك عن طريق العودة إلى المتابع في بناء الثقافة الإسلامية وفهم الإسلام فهماً صحيحاً بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع وإحياء القيم الروحية والعقلية وصقلها وربطها بصيغة الجهاد في سبيل الله وبذل النفس رخيصة وبيعها لله خالصة «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ» أما الخطة التالية التي رسمها نور الدين فهي تكوين جبهة قوية متعددة لمواجهة الخطر الصليبي يمكن أن يطلق عليها اسم (الجبهة الإسلامية العربية) ..

وقد مضى صلاح الدين على نفس الخطة التي رسمها نور الدين والتي استمدت قوتها ومقاصيمها من نفس المقومات التي انتصر بها رسول الله ﷺ والمسلعون على مدى تاريخ النضال وهي مفاهيم أساسية على مدى العصور وإن كانت الوسائل إليها تتغير مع تباين البيئات والعصور ..

ولقد كان الإيمان بالفداء وينصر الله للمؤمنين أساساً من الأساس المتبينة لل-Muslimين في النصر، والتي تحتاج اليوم أن نستعيدها فلا نقف عند النظرية الغربية المادية القائمة على التقديرات المادية من عتاد وأفراد، ذلك لأن الله تبارك وتعالى أعطى المسلمين هذه الخاصية: خاصية النصر بالعدد القليل مع الإيمان بالفداء وتقديم الأنفس خالصة لوجهه وحب الاستشهاد، وهي مقومات مؤكدة النتائج وقد تحقت في كثير من المعارك الحديثة (حيثما يرفع المسلمون اسم الله أكبر ويثبتون في مواجهة العدو) «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِتْنَةً فَلَا يُبْطِلُوْا وَإِنَّكُمْ رَعِيْتُمْ اللَّهَ كَثِيرًا» .

ولن ينتصر المسلمون في أي معركة يخوضونها ما لم يعتمدوا على العقيدة والقوة معاً، وإن الفداء والرغبة في الاستشهاد تكافئ النقص في العدة والعدد وتزيد..

ولقد كان هذا الاتجاه في تصحيح العقيدة والتصور الإسلامي هو الأساس

والدعاة الحقيقة التي دفعت هذه الآلوف إلى أن تترك بيوتها وأوطانها وأهلها لتموت في سبيل الله، ولتستند الوطن وكان القائد نفسه مثلاً عالياً في الخلق والسماعة وكان موضع ثقة الملوك والأمراء جيرانه..

ولقد نجحت خطة (إعادة التسلح الخلقي) كقاعدة للمقاومة فأنشأت مئات المساجد والمراكز والزوايا التي كانت مكاناً للعبادة والاستعداد للقتال وحشد القوى، وأعاد صلاح الدين بنور الدين ذلك الوعي بالقرآن في ليالي القتال فضلاً عن حشد القادرين على رسم الخطط وتنظيم المعارك وإعداد أساليب الحصار وأنواع القتال.

وقد جدد المسلمون في عهد صلاح الدين خطة السلف الصالحة الذين وصفهم رسول الروم حين قالوا: «رأينا قوماً الموت أحب إليهم من الحياة والتواضع أحب إليهم من الرفعة، ليس لأحد منهم في الدنيا رغبة ولا نهمة وإنما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم وأميرهم كواحد منهم، فما يعرف رفيعهم من وضعهم، ولا السيد فيهم من العبد وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف منهم أحد يفسلون أطرافهم بأيديهم ويخشعون في صلاتهم».

هذا الإعداد الذي قام به نور الدين وصلاح الدين هو الذي حقق نصر (حطين) الذي حقق دخول بيت المقدس بعد قليل.

وقد ظلت حركة المقاومة في مواجهة الصليبيين مضطربة غير حاسمة حتى استطاع نور الدين أن يعطيها مضمونها الفكري والاجتماعي حتى قيل: إن نور الدين كان يعمل من داخل البناء السياسي في عصره..

ولقد ذهب كثير من المؤرخين إلى أن النصر الذي تم على يديه لم يكن نتيجة مصادر قوة حربية أو قيادة حكيمية بقدر ما كان مصدره، ذلك الصدق الوثيق والإيمان العميق، وقد شهد له خصومه، وحتى الذين حملوا حملات ضاربة على الإسلام عجزوا عن أن يتهموا صلاح الدين أو ينكروا مقوماته الإسلامية ..

يقول هاملتون جب: لم يكن صلاح الدين إدارياً بارعاً أو رجل حرب أو إدارة بقدر ما كان هو نفسه القادر على جمع العناصر والقوى التي كانت تستهدف توحيد «الإسلام» في وجه الفزاعة، ثم وجهها وألمها، ولم يستعمل في تحقيق هذا الأمر شجاعته وعزمه الذاتيين في غالب الأحيان وإنما حقق ما حققه ضد أعدائه وضد من يتمنون إليه انتقاماً اسمياً على حد سواء ..

كان غاية في البساطة، فذاً في النزاهة، لم يكن يؤمن باللاعب والمدارotas السياسية، ولا يقوم بها، وكان أعداؤه يصطدمون بصخرة مستقرة من إخلاصه لملته العليا إخلاصاً لم يكن لأحد من الناس أو شيء من الأشياء أن يزعزعه. وهذا الأمر الذي أدهش (هاملتون جب) في شخصية صلاح الدين هو أصل بسيط من أصول الإسلام، وأنه كان يحاول أن يجد قوته في تصرفات رسول الله ﷺ قدوة كل قائد ومجاهد ومرجع كل من يتصدى لأمور المسلمين والعرب حيث يجد لديه «المثل الأعلى الذي يصل به إلى طريق النصر».

ويؤكد هاملتون جب أن صلاح الدين لم يكن أمامه غير طريق واحد هو أن يعيد الكيان الإسلامي في دولة موحدة، لا تحت حكمه هو، وإنما بأن يعود إلى حكم الشريعة.

وهكذا تكشف الواقع التاريخية أن النصر الذي حققه صلاح الدين في حطين ومن بعد في القدس، إنما يرجع إلى ذلك الضمان الأخلاقي والروحي العميق الذي كان عاملاً هاماً بجوار القوى العسكرية والحربيّة.

ويوم عرف المسلمون طريقهم المعنوي الخلقي المؤازد للدعم العربي والعسكري فقد أدار الله لهم من عدوهم وحقق لهم النصر في حطين والقدس وعين جالوت والزلقة وجميع معاركهم مع الفزو الزاحف عليهم من آفاق الأرض.

تلك هي عبرة الذكرى الكبرى التي يجب أن يعيها المسلمون والعرب اليوم وهم على مفترق الطرق، ومعهم قضية بيت المقدس المسلوب على نحو يشبه ما كان عليه موقف المسلمين منذ ثمانمائة عام ..

## ٤٧ - أين موقف المسلمين من حضارة العصر؟

زيف المفاهيم التي قدمها توفيق الحكيم ونجيب نجيب محمود  
لأنها تتعارض مع مفهوم الإسلام

### أين موقفنا من حضارة العصر؟

إن لنا حضارتنا ولنا مفاهيمنا في الحضارة التي إذا قايسنا بها حضارة العصر وجدناها تختلف اختلافاً واضحاً، فلا نحن نقبل هذه الحضارة ولا ننصرها فيها ولا نوافقها على وجهتها، ونحن في ارتباطنا بالحضارة المعاصرة لم نكن مختارين، ولكنها فرضت علينا بحكم الظروف العالمية التي جعلت منها قوة مسيطرة ومظهراً للنفوذ الأجنبي في بلادنا. ومنذ اليوم الأول للبيضة الإسلامية وقد كانت دعوتنا أن نقف من حضارات الأمم موقف القدرة على الاختيار والرفض بإرادة كاملة، ووفق قانون أساسى واضح.

فإذا كان دعاء الحضارة في هذا العصر ومنهم (توفيق الحكيم ونجيب محمود) ي يريدون منا أن نقبل كل شيء وأن ننصره في هذا الوجود العالمي فإننا لا نقبل بوجهة نظر هذه الحضارة وأهلها في مسائل كثيرة، وإن كان علينا أن لا نتردد في قبول الأجهزة والوسائل والأساليب الغربية لنقدم من خلالها فكرنا.

وليس هذا عيباً (فقد فعل الغرب ذلك حين أخذ علوم المسلمين في الأندلس) ونحن نؤمن بالانفتاح على الحضارات والأمم ونؤمن بأن نعيش عصمنا، ولكننا لا نقبل القيم والمفاهيم التي تتعارض مع منهجنا الإسلامي في أمر المجتمع والتعامل وحركة الحياة، وخاصة فيما يتعلق بالتعامل الاقتصادي والربا، والتزاحر على المال الحرام والتنافس على امتلاك الثروات عن طريق الوسائل المحرمة، كذلك فإن لنا في الحضارة بعامة وجهة أساسية واضحة هي أنه لا تتفاهم بالثروة أو بالعنصر

أو بالجنس، فنحن نؤمن بوحدة البشرية: «كلكم لادم وأدم من تراب، ولا فضل لعربي على أعمي إلا بالتفوى» وأن ثروة الأمم في الحقيقة هي للبشرية كلها وليس لدولة ما، أو لعنصر ما، ومن ثم فنحن نرفض منهج الحضارة الغربية التي تقسّم العالم إلى شرق وغرب وشمال وجنوب وفقراء وأغنياء، والتي تستعلي بالجنس الأبيض على البشرية وترى من حقها السيطرة على مقدرات الأمم الملونة والفقيرة وأن تحرم الأمم النامية من حق امتلاك ثرواتها أو إقامة حضارتها خاصة بالنسبة للأمة الإسلامية (التي هي بمثابة القارة الوسطى) والتي تملك المقدرات الضخمة التي تحكم في اقتصاد العالم فضلاً عن موقعها الجغرافي .. دون أن تستطيع استثمارها وتنميتها والتي تودع أموالها خارج بلادها فتندفع بها اقتصاد الدول الكبرى، ومنه تفرض هذه الدول البلاد الإسلامية بفوائد عالية.

فكيف تقبل أن تنتصِر في هذه الحضارة وهي تسير في طريق مسدود، وتدخل مرحلة المحاق، وتختلف في الوجهة مما يقرره الإسلام بالنسبة لمنهج الحضارة، ثم كيف تقبل أن تنتصِر في هذه الحضارة وهي تسير في طريق مسدود وتختلف في الوجهة مما يقرره الإسلام بالنسبة لمنهج الحضارة، ثم كيف تقبل أن تنتصِر في حضارة فقدت مقومات المفهوم الصحيح للحضارة من حيث إنكارها للبعد الرياني في بنائها والبعد الأخلاقي في حركتها، حتى دخلت مرحلة الانحدار وباتت أوضاعها تنذر بال نهاية المحتومة التي وصلت إليها الحضارات الوثنية في روما وفارس. كيف يمكن أن يطلب إلينا الدكتور زكي نجيب محمود أن تقبل بهذه الحضارة في هذه المرحلة الخطيرة من الانهيار لأمة تبني وجودها على أساس الإسلام.

ومن قبل دعاها الدكتور مهـ حسين إلى أن تقبل الحضارة خيراً وشرها، حلوها ومرها، وما يحسن منها وما يعاب، وما أعتقد أن الأمة الإسلامية اليوم يمكن أن تقبل هذا وقد شبـت عن الطوق ونمـت وعرفـت أبعـاد المـخططـاتـ التي تـريد أن تحـطمـها وتحـطـيـها وتصـهرـها في بـوتـها .

ألا فليعلم هؤلاء دعاة التغريب أن اليوم غير الأمس وأن هذه الداعاوي المبطلة لم تعد مقبولة في عصر التفتح والاتصال والفهم للمؤامرات التي تريد احتواء هذه الأمة وتدميرها.

وأي خلاف بين الحضارة الغربية المعاصرة والحضارات التي هوت وانهارت، إلا في إخفاء الأنبياء القاتلة في قفازات من حرير فما تزال هذه الحضارة تؤمن بعبودية الإنسان للإنسان وعبودية الإنسان لغير الله، كما كانت حضارة يونان وفارس والفراعنة، وهي المفاهيم التي جاء الإسلام ليحططها ويذروها أدراج الرياح وما تزال فلسفات أرسطو وأفلاطون في شرعية الرقيق تحول إلى نظريات جوشيو للأجناس، وما تزال التفرقة العنصرية قائمة، في أشد بلاد العالم تمدناً وحضارة.

وكيف يقبل المسلمون أن ينضهروا في حضارة تجعلهم تابعين وغير قادرین على امتلاك إرادتهم وإبراز ذاتيهم مهما كان حجم العطاء المادي في هذه الحضارة في مقابل ضياع القيمة الأساسية للحضارة في مفهوم الإسلام وهي العزة والسيادة بالإرادة الحرة الإنسانية والمسئوليـة الفردية والالتزام الأخلاقي.

ولا ريب أن أي دعوة إلى تلاقي أو تكامل أو حوار بين حضارتين تختلفان في الجنون، وبين حضارتين إحداهما سائدة سيادة مادية مطلقة، هي دعوة باطلة وهي على حساب الطرف الذي لم يمتلك إرادته بعد فهي ستزيده ضعفاً واحتواءً وانصهاراً حتى يفقد ذاتيته تماماً.

وأي رفعة في حضارة أثينا، أو فلورنسا أو فارس أو غيرها حيث كان السادة يجلسون على القمة يتقرجون على صراع الإنسان والثيران، ويتلذذون بالعبد الذين يُقتلون وحيث لا يستطيع العبد أن يكون سيداً مهما أتيحت له الفرصة ليجلس في صفوف السادة، وماذا في حضارة الغرب من رفعة وهي تقع على الجنس الصارخ والخمر والإباحة والمخدرات والمأرجواناً وحيث تتمثل المستفيضيات باللقطاء

والشواذ، هل هذه هي الحضارة التي يدعونا زكي نجيب محمود إلى أن نقبلها وتجعل تراثنا الإسلامي ظهيراً لها. أو هذا الفن القمي والأدب الساخر الماجن الذي يسمونه رواية الأداب العالمية ويترجمونه إلى لغتنا العربية.

ولا يبعد رأي توفيق الحكيم في شأن الحضارة عن رأي زكي نجيب محمود، فهي مدرسة واحدة هي مدرسة الغرب وإن كانت موزعة بين الوضعية المنطقية والعلمانية المسرحية .. إنه يأخذ على اليقظة الإسلامية أصالتها ورغبتها في بناء منهج أصيل لحياتنا .. وحضارتها مستمدّة من قيمها الإسلامية القرائية ويسخر منها، لأنها قد رفضت ما عاش يدعو إليه أكثر من خمسين عاماً من مفاهيم الفن والأدب والرواية والمسرح.

و تلك حقيقة واقعة يجب لا تغتصب توفيق الحكيم، لأن مفاهيمه التي استقدمها من الإغريق والغرب ومن مفاهيم الفن للفن وبيكاسو وسارتر، وما تتطوي عليه من ترقق وصراع ومن عبث وصراع، لا تمثل جوهر النفس المسلمة في حقيقتها وإنما تمثل النفس التي صاغتها قاعدة (الخطيئة) فصدرت عنها الفلسفات المادية والوجودية والهليبية مما شغلت به نفسك أكثر من خمسين عاماً ثم قلت أنت: «إنه لم يجد قبولاً وأنه كدخان في الهواء» ..

أما موقفنا من رفاعة الطهطاوي ومحمد عبد عبده وليس على النحو الظالم الذي صورته به .. إن كل ما قلناه إن رفاعة خدع وظن أن الأوروبيين حين أخذوا من الإسلام حفظوا الأمانة فأصبح من اليسر أن نأخذ منهم بضاعتنا وكان هذا حسناً من الشيّخ الذي لم يتعمق الأمور ولم يقرأ التاريخ حين دعا البابا طلاب العلم من الغربيين الذين وردوا جامعات المسلمين في قرطبة وبلنسية وغيرها أن يأخذوا العلم ولا يأخذوا دين المسلمين، أي: لا يأخذوا المنهج التطبيقي للعلوم التجريبية التي أنشأها المسلمون وأخذها الغرب منذ ذلك اليوم وأقام مؤامرة الصمت ولم يعلن أنه أخذ من المسلمين شيئاً، حتى جاء اليوم من يكشف أن منهج

فرنسيس ي يكون مأخوذاً بالنص من الرسالة للإمام الشافعي.

فلا تثريب على الشيخ رفاعة، ولكن لا بد أن نقول إنه كان حسن الظن بفكر مدخول سيطرت عليه وثنية الإغريق ومادية طاليس وإباحتية أفلاطون - أما الشيخ محمد عبده فإنه لم يفتر إلا حين أعلى من شأن المعمول على المقول (الذي هو القرآن والسنة) ولو شاء لأخذ بمفهوم ابن تيمية الذي قال: إنه لا يمكن أن يختلف صحيح المقول مع صحيح المعمول.

ونحن نرى أن المدرسة التفريبية هي التي انفصلت عن الشيخ محمد عبده وحاربته أساساً وأخذت طريق العلمنة والتغريب على يد طه حسين واطفي السيد وقد كانوا من تلاميذه.

ويُسخر توفيق الحكيم من مسألة الحفاظ على الشخصية ويصف الذين يرددونها بأنهم مراهقون، ويريد أن يحطم هذه القاعدة الأساسية في كل حضارات الأمم، وإذا غفلت الأمة عن ذاتيتها وكيانها الخاص فإنها لن تبقى وستجتاحها الأمم، بل إن أمماً كثيرة تحافظ على شخصيتها وتتجددها وهي شخصية وثنية خرافية قائمة على أساطير وخرافات أو على قواعد من أديان بشرية ووثنية، فهم يحترمون هذه الأمة ولا يسألونها عن أساطيرها ولكنهم يدعوننا نحن إلى أن نتجاهل مسألة الشخصية والذاتية حتى تنتصر في أتون الأعمية، وماذا يزعجهم من الذاتية الإسلامية إلا أنها تحفظ وجود الأمة، وهي محافظة لا تحول أبداً دون التقدم أو الانفتاح على العالم أو قبول معطيات التكنولوجيا والعلم، بل لعلها تعطي قوة الإيمان بالله الذي يجعل للعلم والحضارة طريقة أشد سلامة وقوة وعطاء من طريق الغرب المليء بالثورات والأزمات تقاء تجاهل الأساس الحقيقي الذي يؤمن بالبعد الرباني الإلهي الذي تنطلق منه الأمة إلى غایاتها وتلتمسه في حركة نموها وعمرانها.

إنها محاولة لتحقيق هدف مبيت في هذه النقوص لم يكشف عنه هو أن تفقد

هذه الأمة ذاتيتها وجودها ولا تلتمس حضارتها ولا قيمها من مصادرها التي جاء بها الإسلام (القرآن الكريم والسنّة) ولكنهم لا يستطيعون أن يكتشفوا عن هذه الوجهة بل يدعون حولها: لأنهم يعرفون أن الأمة إذا تاكل لها ذلك فقد سقطوا سقوطاً نهائياً ..

إن مقدرات الأمم في الإسلام لا تدمر من أجل الأهواء والشهوات ولا توقف على الجنس الأبيض المسلط، ولكنها تمثل عدالة الله ورحمته بالبشرية كلها، إننا لا نقبل أن تندفع في هذا التيار المتعارض مع الأمانة التي وكلها الله تبارك وتعالى إلى الإنسان، من أجل إسعاد البشرية كلها وليس صنفاً واحداً منها.

ومن هنا فلابد من أسلمة مناهج العلوم الطبيعية والتجريبية أيضاً (وليس مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية فحسب) وإدخالها في إطار اللغة العربية ومفهوم الإسلام أساساً من أجل إعادة بناء الحضارة الإسلامية بعد أن انهارت مفاهيم الحضارة الغربية ووصلت إلى هذا الحد من الدمار.

إن الغرب لا يريد أن يخرج المسلمين من دائرة الاحتواء المقلقة، لينصهروا في هذه الحضارة الغاربة، إن المجتمع المسلم له مفهوم مختلف عن مفهوم الغرب في كل شئون التمويل والتنمية والاستهلاك، ولابد أن تعود موارد الأمة الإسلامية المستمرة خارج يادها إليها.

إن على المسلمين أن لا يقيموا أنفسهم بالمجتمعات الغربية المعاصرة، حتى يتجنوا المأذق الذي تحدّر إليه.

إن أخطر ما ينخدع المسلمين به اليوم هو القول بوحدة الحضارة أو عالمية الثقافة وذلك لصهر المسلمين في بوتقة الحضارة الوثنية الغاربة والقضاء على ذاتيتهم وتميزهم الخاص الذي جعل لهم التوحيد به طابعاً مستقلاً ليكونوا به قادرين على تبليغ رسالة الإسلام للعالمين بعد بناء مجتمعهم الرباني واستئناف عطائهم الحضاري الأصيل ..

## ٤٨ - اعظم مهام دعوة الأصالة وأسلامة العلوم والآداب

### الكشف عن زيف المفاهيم الواحدة

إن أكبر حاجة المثقف المسلم اليوم أن يعرف أبعاد المفهوم الإسلامي في مختلف مجالات دراسته وشخصه، سواءً أكان مجاله الأدب أو العلوم الاجتماعية أو الاقتصاد أو العلوم السياسية، وذلك للكشف عن التصور الإسلامي، هذا التصور الموجود فعلاً بين أيدينا، وفي كتابات كثيرة من أعلامنا والذي يبرز بصورة واضحة في ميراثنا العظيم (القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهّرة) ..

ولقد كانت حركة البقّطة الإسلامية منذ أكثر من خمسين عاماً تحاول أن ترسم خيوط منهج الأدب الإسلامي وتتصوره في مواجهة المفاهيم المسمومة والزائفة التي فرضها على الأدب العربي أمثال لطفي السيد وطه حسين وأمين الخلوي وسلامة موسى وأغلى بها أدباء آخرون ربما كان يقصدهم أنهم بدأوا من نقطة المفاهيم الغربية المادية فعجزوا عن التعرف من التصور الإسلامي.

ولقد كانت المعارك الأدبية الكاشفة عن وجاهة نظر الإسلام بمثابة «التراث» الذي يمكن أن يستخلص منه مفاهيم الأدب الإسلامي في مواجهة المفاهيم الغربية التي سيطرت على دراسات النقد والتحليل الأدبي من منطلق أن الإنسان «حيوان» معدة أو «حيوان» جنس، حتى قيل: إن الإنسان حيوان ناطق وذلك في مجال الفضوح الشديد لنظرية داروين التي تعد بمثابة القاعدة الكبرى التي نشأت في أحضانها نظرية التحليل النفسي الفرويدية والوجودية، ونظرية العلوم الاجتماعية التي حمل لوانها مع الأسف - وليس بالصدفة - مفكرون يهود ماسون، لهم أمانة ضخمة للمخطط الماسوني التلمودي الذي كشفت عنه «بروتوكولات صهيون»، وهم بقصد تحويل الإنسان إلى حيوان خاضع لغريزتي

البطل والجنس على النحو الذي قدمه ماركس وفرويد ..

لقد أخذنا نحن المسلمين هذا التصور وهذبناه قليلاً ولكنه ظل قائماً في الأساس في مجال النقد الأدبي والتحليل للأعمال الأدبية كما رسمه الذين فرضوا هذا المنهج في كليات الآداب، وحجبوا المفهوم الأصيل الذي قدمه فعلاً في ذلك الوقت أمثال مصطفى صادق الرافعي وغيره.

وظل هذا السوس المادي الإباحي ينخر في الأدب العربي حتى جاء رجال آمنوا بأسامة الأدب وكشفوا عن أخطاء المناهج الغربية على النحو الذي تراه في كتابات الدكتور عبد الرحمن رأفت البasha وتلاميذه.

وكنا قد تتبهنا إلى ذلك منذ السنتين في كتابنا (خصائص الأدب الغربي) للكشف عن وجود الخلاف بين مفاهيم الأدبين والثقافتين وأنبأنا عن فساد نظريات النقد الأدبي الواقفة ومذاهب تاريخ الأدب وخاصة فيما يتعلق بأخلاقية الأدب وأسلوب الشك والاعتماد على المصادر الزائفة. وإقلالية الأدب وتناولنا أثر الاستشراق في الأدب العربي وأثر الترجمة وأثر الأدب الإغريقي، والأدب الشرقي القديم والمسرحية اليونانية وغيرها.

وقلنا: لماذا لا تكون لنا مدرسة خاصة ولماذا تكون تابعين لمدارس معينة في النقد الأدبي ولا تكون لنا نظريتنا الأصيلة، ومدارستنا المبتكرة القائمة على أساس من قيمنا. ولماذا ناقلم نحن نظريات الآخرين وهي غريبة عنا كما ترى، ولا تكون لنا مناهجنا المستمددة من أدبنا؟!

وكان هذا السؤال الموجه إلى أستاذة الأدب العربي في دار العلوم والأزهر بالذات وكليات الأداب ..

ذكرت هذا عندما سألني أخي الدكتور الكيلاني في مؤتمر الأدب الإسلامي بالرياض عن مبدأ تقيين هذه القيم حين قدم الأستاذ حسن البنا تصوراً لأستاذ الأدب العربي ليعرض عليه الدكتور طه حسين الذي تصدر في كلية الأداب ليقدم

مفهوم غربي أخذه من تين وبرنتير وساند بيف وكيف أنها مفاهيم وافدة لا تمثل  
تصورنا لمهمة الأديب ولا مستواه؟!..

وهكذا نرى أن مهمة إعادة الأدب الإسلامي ليس بتقديم النماذج الإسلامية  
فحسب وإنما تقديم التصور الإسلامي بالكشف عن زيف التصور القائم في  
الجامعات والمعاهد اليوم وأخطر ما يواجهنا الآن: هو أدب العبث الذي تقدمه  
نظريّة الوجودية، ونظريّة الحداثة التي تجد لها تجمعات كارهة للإسلام والفصحي  
والقرآن، وتهدّف أساساً إلى قطع الحاضر عن الماضي وتشويه البيان العربي على  
نحو ماكر خبيث.

وهانحن نجد أولياء التغريب والغزو الثقافي يشنون الغارات على الأصالة  
والبلاغة العربية وعلى كل شيء موروث من دين ولغة وتراث في أسلوب رديء  
يساندهم دعاة الفلسفة والفكر المادي الذين يبنّثون في كل مكان لانتهاص القيم  
الإسلامية الأساسية، ومنهم من يعيد عرض الكتب المرفوضة التي فتحت أبواب  
الشك الفلسفى والعلمانية والطعن في المقدسات تحت أسماء لا تخفي على أحد  
كالشعر الجاهلي والإسلام وأصول الحكم.

إن الشباب المسلم يريد أن يفهم حقيقة العلاقة بين الفكر الإسلامي والفكر  
الغربي، والفارق العميق بينهما لما كان الأدب قطاعاً من الفكر، فقد كان  
ضرورياً أن تكشف له وجوه الخلاف بين مذاهب الرومانтика والكلاسيكية  
والواقعية والسريرالية وبين مفاهيم الأدب العربي الذي أنشأه القرآن الكريم والسنّة  
في أمّة البيان الذي هو أعلى ذروة في فنونها بعيداً عن التجسيم والتجمسيد، وبعيداً  
عن المحاكاة. وتقليل الطبيعة ودعوى التتفوق على الطبيعة، ومن خلال أخلاقيات  
النفس المسلمة بعيداً عن الوثنيات والإباحيات والكشف والعرى والتتوسيع في  
تصویر ضعف النفس البشرية، وإثارة نار الشهوات، فالإسلام يدعو إلى تبريد  
العواطف، ويحل مشاكل العاطفة والوجدان عن طريق الزواج وينكر تلك الصور

المزرية التي توصف بالحب حيث أصبحت كلمة حب تساوي كلمة جنس، وقد تحطمت كل قيم العفاف والشرف والبكارة فيها ..

إنهم يتحدثون عن قاعدة من التراث وبناء عصري: هذه مجل نظرية فلان وفلان، وهي نظرية ضالة. فكيف يمكن للتراث الرياني القرآني الإسلامي القائم على التوحيد الالتزام الأخلاقي والمسؤولية الفردية أن يقبل بناءً عصرياً على النحو الذي يقدمونه في الوجودية والهيبية وزواج الرجال بـ صديق العائلة وما يتصل به من حمر وعبث وتدمير لبكارة الفتاة قبل العاشرة، والسفاح الذي يملا المستنقعات وحبوب منع الحمل التي تحول دون كشف العمل الفاضح بالإضافة إلى قانون لا يعاقب من ترتكب أن تُسلم عرضها، وقد انتقلت رياح السموم هذه إلى مجتمعاتنا مع الأسف الشديد فكيف يمكن أن يكون البناء من هذه اللبنات المظلمة العفنة فوق قاعدة من قيم تقوم على النور الكاشف الذي يوجه الطريق إلى السماء ورحمة الله.

إن الدعاء إلى هذا التركيب المضلل يغفلون عن حقيقة أساسية هي أن القرآن والسنة قد قدموا منهاجاً جاماً ورفيعاً من القيم والنظم لبناء حياة اجتماعية عالية الذرا في الرحمة والإخاء والسماحة وتجاوز الأنانية إلى الغيرية، بحيث لا يحتاج المسلم في هذا العصر من الغرب سوى علوم التجريبية والطبيعية والرياضية بحيث يأخذها كمواد خام يصوغها في دائرة مفهومه القائم على التوحيد والإيمان بالله خالق الكون والذي يبدأ منه الأمر وإليه يعود.

هذه الركيزة من بعد الرياني للمجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية تحول تماماً دون تحقيق تلك الأطروحة الضالة التي يقدمها أمثال ذكي نجيب محمود وغيره في محاولة لخداع هذه الأمة عن أصولها وقيمها وإغراء لها بقبول حضارة في طريق الغروب بعد أن دمرها الفساد والتحلل ودمرتها الإباحية وكيف يمكن أن يقبل المسلمون حضارة الغرب (وهي أسلوب معيشته الاجتماعي)

المستمد من عقيدته وقيمه وتقاليده وقد رفض الغربيون في أول النهضة قبول دين الإسلام، ومن يرجع إلى ثيقة وفدي علماء طولوز جنوب فرنسا التي ترجمها الدكتور مختار العباري والتي تتعلق بزيارة لهم لقرطبة وقد حملهم كبير أساقفة طولوز رسالة يدعوا فيها حكام المسلمين بدخول المسيحيين .. وفيها يعترف هذا الوفد بتقدم هائل للمسلمين وتتفوق مذهل في مختلف النواحي العقلية، وكذلك تفرق عقيدتهم الدينية على المسيحية؛ الأمر الذي اضطرهم إلى الهرب ليلاً من قرطبة خوفاً على عقيدتهم الدينية من تأثير عقيدة التوحيد وقد أخذ كبير أساقفة العهد (بأن يأخذوا علوم المسلمين ولا يأخذون عقيدتهم).

اليس من حقنا أن نحضر حذرهم، وهلا يرى الدكتور زكي نجيب محمود وغيره أن ذلك أمراً ليس هاماً وعلى المسلمين أن يضعوا بعقيدتهم الإسلامية في سبيل الحصول من الغرب على كلمات صماء فارغة تافهة أمثال التقدم، والمعاصرة، والحداثة .. على النحو الذي يكشف لنا عنه ألونيس وغيره من نوي الصلال..

الحقيقة أن أبناءنا شباب الإسلام المثقف في حاجة إلى حصانة شديدة تجعلهم يهربون ليلاً من هذه الواقع خوفاً على دينهم وعقيدتهم كما هرب وفد علماء طولوز من قرطبة ..

\* \* \*

## ٤٩ - على الأمة الإسلامية أن تلتمس كنزها الرباني ولا تتسلل فتات موائد الغرب

هل يعد الحفاظ على الذاتية وحمايتها عيباً يوجه إلى حركة اليقظة الإسلامية بالرغم من تفتحها إزاء الفكر العالمي والإنساني وقيامها أساساً على مفهوم التقدم والتحديث المتحدد من التبعية والانصهار في الأمية، إن مطالبة بعض الكتاب المسلمين بأن يرفعوا هذا التحفظ وأن يقبلوا من الغرب كل شيء هو أمر لا يقول به عاقل أو محب لأمة أو أمين على كيانها الحقيقي..

إننا نجد بعض الكتاب يأخذون حماية الكيان والذاتية المميزة للأمة عيباً ويرون لو فتحت الأبواب على مصاريعها ليدخل كل فكر وكل نظرية حتى تضيع هوية الأمة الخاصة التي حفظتها أربعة عشر قرناً فإذا تحدث متحدث عن التراث أو عن الأصالة أو عن حماية اللغة العربية أو عن خطأ الدعوة إلى تطوير الإسلام أو إلى التفرقة في الفهم بين كثير من المصطلحات ذات الاسم الواحد والتصور المختلف غضب هؤلاء ورموا القائلين بالرجعية والخلف وبعبارات أخرى كثيرة من بينها السلفية والجمود، وكأننا مطالبون تحت مفهوم الدولة العصرية أن لا نبني على شيء من ماضينا أو كيانتنا ودون تقدير لدى الفوارق العميقة بين الغرب وهذه كيانه وعقيدته وأدابه وبين عالم الإسلام بميراثه القرآني والنبوى وتراثه وقيمه ومفاهيمه التي تختلف اختلافاً واسعاً، ويغفل هؤلاء أن الأمم لا يمكن أن تمتزج أو تنصره - وخاصة الأمم ذات المنهج الأصيل - ولكن الأمم تتعاون وتتبادل الخبرات - لا المذاجر - وتأخذ ما يصلح لها وترفض ما يتعارض مع قيمها ومفاهيمها.

وأقرب تجربة إلينا هي تجربة الغرب نفسه حين اتصل بالحضارة الإسلامية في الأندلس فأخذ العلوم ولم يأخذ أسلوب العيش ولا مذاجر الفكر والعقيدة، لأن له

مناهجه الموروثة عن الحضارتين اليونانية والرومانية، وقد أفرغ ما أخذ من المسلمين في بوقته وصيبرها، فكيف يساق المسلمون إلى تبعية كاملة لحضارة تختلف وفي مرحلة الم الحق والأنهيار، وكيف يقول فلان: لابد منأخذ الحضارة بفكرها، ويقول آخر: نجمع بين التراث الإسلامي والمعاصرة .. إن هذا الكلام أشبه بلعب الأطفال المصنوعة من البرق المقوى المدهونة بالألوان البراقة، ولكن عندما تضع يدك عليها تجدها قد تفككت.

إن أمّة لها أصالة الأمة الإسلامية لا يمكن أن تخذل ولا يمكن أن يفرض عليها منهج غير منها - حتى في أشد أوقات محنتها وضعفها إبان احتلال الاستعمار لبلادها فكيف الآن وهي تمتلك التفوق البشري والطاقة والإرادة القادرة على اختيار أسلوب الحياة، وكيف وهي قد جربت عشرات السنين أيدولوجيات الغرب التي لم تتحقق لها إلا الفشل والهزيمة والنكبة والنكسه فكان عليها أن تعود مرة أخرى إلى المتابع: إلى المصادر الحقيقة لها فهي وحدها القادرة على العطاء والقادرة على تمكينها من بناء مجتمعها.

إن هناك اتهامات كثيرة توجه إلى البقعة الإسلامية أخطرها أنها تريد أن تعيد حياة السلف الصالحة وتجارب المسلمين الأولين وعلماء المسلمين وخبرائهم في علوم الاجتماع والنفس والأخلاق والتربية يعرفون أن التاريخ لا يعود القهري، وأن المناهج الإسلامية مرتنة قادرة على التشكل والاستجابة لكل عصر وكل بيئة دون أن تضاد التقدم أو التحديث أو العصرية وأنها تواجه تطورات الأمم بمنهج جامع بين الثابت والمتغيرات، فتتصل فيما بين العبادات والمعاملات.

قدرة الإسلام على الجمع بين القيم والموازنة بينها والموازنة، بين أوضاعها شيء عرفه العلماء المسلمون دوماً، نتيجة تكامل الإسلام نفسه ومن خلال نظرته الجامحة التي تختلف مع مفاهيم الغرب التي تقوم على الانشطارية والتي تتفق متزعجة إزاء ترابط العقل والقلب، أو الروح والمادة، أو الإلهي والبشري؛ لأنها قامت

على الفصل التام بين القيم وعجزت عن التكامل.

فالمسلمون يلتمسون منهج العلم والتقنية في أحدث مراحله ولكنهم يطبقونه في دائرة فكرهم الذي لا يفرق بين الأجناس أو يفرق بين الألوان، أو الذي لا يستعلي بالعنصر على الآخرين، والإسلام يقيم منهج حضارته في إطار السماحة والرحمة والإطار البشري دون صراع الطبقات أو صراع الأجيال أو إنكار فضل الآباء والعجائز والمرضى والمسنين، ويجعل من العلاقة بين الرجل والمرأة، والابناء والآباء علاقات سليبة كريمة ليس فيها دخل ولا خداع، لأنه يقدمها من خلال ضوابط الإسلام ونظمه التي تحكم هذه العلاقات وترسمها في إطار كريم فتبيح لكل إنسان رغابه في المال والمرأة والجاه وفق قاعدة كريمة قوامها الزكاة، والعقد الشرعي، وأداء حق الفقراء والمساكين وحماية المجتمع.

فليست السلفية في مفهوم الإسلام نكوصاً إلى الوراء ولكنها إضافة جديدة للحياة بمفهوم التقدم (الإسلامي) الجامع بين المادة والروح.

كذلك فالإسلام يرفض العلمانية، لأنها تجعل من الدين أمراً شخصياً خاصاً بين المرء وربه، ولكن الإسلام يؤمن بأن الدين جناحين: علاقة مع الله وعلاقة مع المجتمع، وكثير من القضايا المطروحة في أفق الإسلام غريبة عنه ودخيلة عليه فإذا كانت العلمانية هي نتيجة الخلاف الذي قام في الغرب بين العلماء والكنيسة وكان فصل الدين عن الدولة هو حاصل ذلك الخلاف فإن الأمر في الإسلام لم يقع أساساً، وما كان العلم إلا لبنة من لبنات الإسلام فهو الذي فتح الطريق إلى النظر والتجريب ودعا إلى البرهان فنشأ العلم في أحضان الإسلام بوصفه ديناً جاماً.

والواقع أن هذه المرحلة التي فرض فيها على مجتمع المسلمين الانفصال عن الشريعة الإسلامية وفرضت عليه الأنظمة الغربية، والاقتصاد الريسي، والقوانين الوضعية والتربية المفرغة من الدين والأخلاق لم تتجاوز مائة عام في أربعة عشر

قرنا كان الإسلام خلالها هو منهج حياة الأمة ونور طريقها فهل إذا عاد المسلمين إلى وضعهم الأصيل بعد أن أغتربيوا عنه كان ذلك أمراً غريباً، وإذا قبلوا منهجاً غريباً عنهم لم يالفوه ويختلف مع توجيدهم الخالص كان ذلك أمراً يسيباً، سبحانه الله.

إن التغريب كان قد أحس بأنه استطاع أن يفرض وضعاً شاذًا على المسلمين وظن أنه يمكن مع البث الدائم للدعوات الباطلة أن تقنع بها الأجيال الجديدة ومن ثم تتطوّر صفة المفهوم الصحيح.

ولكن الأمر لم يكن كذلك فقد ظل القرآن ينادي المسلمين يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة ليذلهم على الطريق المستقيم، وإكشف لهم خطأهم في الانحراف تحت ضغوط الانبهار بالغرب أو التبعية، وبقيت الجماعة المسلمة كلها في يقين بأنها على الحق، ولم ينحرف إلا قلة خدعوا أو أثروا مفانم الدنيا.

وتأنزرت خطوات خصوم الإسلام على هدف واحد، هو أن تظل اللغة العربية الفصحى عاجزة عن التوسيع، وأن تظل الشريعة الإسلامية محجوبة وراء القانون الوضعي وأن يظل الاقتصاد الربوي مسيطرًا ولكن الأمة استطاعت أن تبني نفسها وتستكمّل مانقص من المناهج وتصبح مسيرة المرأة والمصرف والمجتمع والأسرة.

إن الغرب يحس اليوم بالانحسار في نفوذه فهو يقاتل في سبيل البقاء، ولكن قوى أكبر منه تغلبه، تلك قوى التفوق البشري في عالم الإسلام وقصوره في الغرب، مهما حاول الغرب إغراء المسلمين بالتوقف عن النسل ومهما أغرى أهله بزيادة المواليد، تلك سنة الله الفاتحة التي لا تقهـر وسوف تتحطم كل المؤامرات التي ترمي إلى سيطرة جنس معين أو مذهب معين على العالم، فإن طريق المؤامرة والتحكم ومعارضة منهج الله لن تحقق سلطاناً، ولن تجد الطريق أمامها مفتوحاً.

«بِرِيدُونَ لِيُطْفِئُنَا نُودَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتَّمٌ نُورِهِ» .

واليم تعود شعوب الإسلام إلى منهجها الأصيل وتكشف كل يوم ثغرات الفساد في مناهج الغرب الوافدة بل إن الأمر قد بلغ أكثر من هذا فـي الغربيين أنفسهم اكتشفوا فساد الأيديولوجيات وطالبوها منذ سنوات بنظام اقتصادي جديد، بعد أن عجز النظمان عن تحقيق الأمن وسكونية النفس لأهل الغرب وتعالت الصيحات تبحث عن البديل وتعلم كثير من أعلام الغرب إلى الإسلام بوصفه منقذاً وبوصفه المنهج الأمثل الذي يوجد فيه ما ينقص الإنسان الغربي وأبرز ذلك: البعد الإلهي في العقيدة والبعد الأخلاقي في المجتمع وتواتر الضربات القاتلة التي تواجه الحضارة الغربية والفساد الخلقي والانحراف وانهيار الأسرة، وانتشار الخمر والإباحيات، كما تواترت الهزات الاقتصادية والمالية وتواترت نذر الله تبارك وتعالى بالكوارث المتواصلة والعبرة لمن يعتبر.

إننا أصحاب منهج متميز، وأصحاب كتاب منير، ولها رسالة إلى العالمين وما نحن فيه من تخلف هو عرض زائل، يزول إذا استطاعت النفوس أن تتجه الوجهة الصحيحة، من رضوان الله والعمل بمنهجها، فقد عود الإسلام أهله أن يكشف لهم طريق النصر إذا التمسوه، وما استطاع المسلمين في خلال أزماتهم التي مرت بهم خلال تاريخهم الطويل أن ينتصروا بمعاهديم الغير، ولن يتحققوا شيئاً إذا تركوا الكنز الذي معهم مبدداً في الثرى، وهم يتلمسون فتات موائد الغير فلا تنخدع بتلك العبارات التي يسوقها بعض الكتاب حين يحاولون تشكيك المسلمين في الطريق الصحيح الذي ساروا عليه.

وإذا كان أهل الإسلام قد عجزوا أو أصابهم اليأس فإن الله تبارك وتعالى قادر على أن يبعث أجيالاً جديدة أكثر إيماناً، ومن يتطلع إلى الفواهر الجديدة التي تتجلى كل يوم يعرف أن الطريق أمام الإسلام يضيء ويتسع وفي مقدمة ذلك تجربة الإعجاز العلمي التي هزت الغرب وما يتكشف كل يوم من سعة كون الله وعظمته خلقه، وبذلك القلوب التي تهوي إليه من المفكرين والعلماء، الذين يرون فيه

الحق، وكل واحد منهم بمائة، وما تصاب به الأمم الضالة من هزائم «أَوَلَمْ يَرَوْا  
أَنَّا نَنْهَا الْأَرْضَ تَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مَعَذْبَةَ لِحَكْمِهِ» فسوف يدرك  
الإسلام مع الزمن أنه هو الحق المحكم القادر على العطايا على مدى الزمن دون  
أن يصييه انحسار أو يحتاج إلى ما تحتاج إليه الأيديولوجيات البشرية من إضافة  
وتحذف ..

\* \* \*

## ٥- لنحذر دعاوى إحياء الفلسفات القديمة ولنفرق دائمًا بين الفلسفة والعلم التجريبى

هناك برنامج تحت عنوان (رثاء التراث الإسلامي) لا يعرض إلا كتب الفلسفة المسمة بالإسلامية من كتابات ابن سينا والفارابي وابن رشد وغيرهم وقد يظن ظان أن هذا هو التراث الإسلامي وحده، أو أن هذه الكتب من التراث الإسلامي حقيقة، وقد تكون هذه محاولة بارعة ضمن محاولات كثيرة تبذل اليوم لإقناع الشباب المسلم بأن هذه الفلسفة المسمة بالإسلامية والتي كتبها هؤلاء هي من أصول الفكر الإسلامي الذي قامت عليه مفاهيمه وقواعده.

وليس الأمر صحيحاً على هذا النحو إنما هي دخائل دخلت إلى الفكر الإسلامي مع ترجمة الفلسفة اليونانية تختلف مع أسس الإسلام الكبرى وهي التوحيد والرحمة والإخاء البشري وإن المسلمين ما لبثوا أن حاربوها وواجهوها وكشفوا عن فسادها ومعارضتها لمنهج التوحيد الخالص. وإن هؤلاء الفلاسفة الذين اختاروا جانب الولاء للفكر اليوناني لم يجعلوا الطريق أمامهم مفتوحاً للتوفيق بين الفلسفة والإسلام، بل وجدوا من العقبات ما حال بينهم وبين إتمام مهمتهم وخاصة في مسألة التوفيق بين وجهة أفلاطون الروحية ووجهة أرسطو المادية والتي ما يزال الفكر البشري يصطدح حولها دون أن يصل إلى ذلك التكامل الجامع الذي قدمه الإسلام بين العقل والوجود والمادة ووقع الخطأ في التقل والترجمة حتى وضع كتابات هذا بديلًا للأخر من ناحية، وزيف الترجم من الساطرة الترجمة لخدمة دينهم ومذهبهم فحملوها ما لا تحتمل.

وفي محاولة بارعة نجد من يعتبر نفسه وكيلًا لابن سينا، والآخر وكيلًا لابن رشد ومن يتوكلا عن سارتر ومن يتوكلا عن أوجست كونت أبي الوضيعة المنطقية ومن يعتبر شطحات الصوفية أتباع الحبول ووحدة الوجود مصدرًا للوجودية...،

المهم في الأمر، أننا نفرق في الدراسة هنا بين الفلسفة والعلم ولذلك فإننا نقدر في إعزاز بالغ كل ما كتبه ابن سينا والفارابي وابن رشد في مجال الطب والفقه والموسيقى واللغة، ولكننا نرفض مفاهيمهم في الفلسفة؛ لأنها مستمدّة من الفكر اليوناني القائم على علم الأصنام والذي مهما جرت المحاولة لإقامة الصلة بينه وبين الفكر الإسلامي القائم على التوحيد الخالص فإن ذلك مستحيل استحاللة تامة.

إنهم يستقظون لمعان هذه الأسماء لخداع المسلمين عن فكرة الأصالة الإسلامية القائمة على التوحيد الخالص وعلى مفاهيم النبوة والوحى وعلى الأرجانون الإسلامي المختلف عن الأرجانون اليوناني القائم على العبودية بينما يقوم مفهوم الإسلام على تحرير الإنسان من عبودية الإنسان وتحرر العقل الإنساني من الوثنية والتبعية لغير الله تبارك وتعالى.

ولقد رفض الإسلام مفهوم الفلسفة اليونانية الذي أسرف هؤلاء في قبولي و خاصة ما يتعلّق بالعقل الفعال والعقل المثيرة ونظريّة الفيصل وغيرها .. فهذه كلها في نظر الإسلام خرافات، وإن قبول هذه الفلسفات معناه القبول بنوع من الإلحاد أو رفض لمفهوم التوحيد الخالص المنزه لله تبارك وتعالى.

كذلك فإن النظريات التي طرحتها هؤلاء الفلاسفة لم تلق قبولاً من الوجود الإسلامي الأصيل وواجهت رفضاً شديداً، ومقاومة بالغة، لأنها كانت تعارض مفهوم الفطرة ويختلف مع طبيعة الإسلام البسيطة السمحّة.

ولقد أحدثت ترجمة الفلسفات آثاراً خطيرة بعيدة المدى إذ حاولت أن تفت في النفس المسلمة المؤمنة، التي تؤمن بالمسؤولية الفردية، والجزاء الآخرى والالتزام الأخلاقي فكان أن أثارت هذه الفلسفات روحًا من الاستهانة بالمسؤولية وترافقاً في الخلق الإسلامي واندفاعاً وراء الشهوات تحت اسم «سقوط التكليف» فكان خطر هذه المفاهيم بعيد المدى ..

ومن هنا فقد واجهها علماء المسلمين وخاصة في القضايا الثلاث التي كشف

عن زيفها الإمام الغزالى وهي دعاوى: (١) قدم العالم .. (٢) أن الله تبارك وتعالى لا يعلم الجنئيات .. (٣) أن الله لا يبعث الأجساد ولا يحشرها .. وقد شن عليهم الإمام الغزالى حملة ضخمة أسقطت الفلسفة الإلحادية الباطلة من خالق ولم تقم لها قائمة.

وإن الغزالى حين ألف تهافت الفلسفه لم يوجد من يرد عليه، حتى إذا جاء ابن رشد بعد مائة سنة وحاول أن يرد عليه كان كل شيء قد انتهى .. كذلك فقد كان من مخاطر الفلسفه دعوى تقديم العقل على النص وهي سفسطة حاولوا أن ينسبوها إلى ابن رشد، واتهموا بها الشيخ محمد عبد وما يزال يرددتها اليوم من يكتبن باطلأ تحت عنوان العقلانية (الإسلامية) كذا بينما الإسلام لا يقر هذا العنوان، لأن الإسلام عقلانية ووجودانية معاً، هؤلاء الذين يهاجمون (النص) ويغضي ذلك فيقرأه القارئ المتعجل دون أن يدرى أن النص هنا هو كلام الله وكلام رسوله.

كلام الله في القرآن النص الموثق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي حفظه الله إلى أن يرث الأرض ومن عليها «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْكِتَابَ وَإِنَّا لَهُ أَحَانِطُونَ» وكلام الرسول المروي بالسند المؤكّد فكيف يمكن أن يقال بتقدیم العقل على النص؟! هذا العقل الذي نشأ في بيته مثل البيته التي نشأ فيها الزنادقة وأهل الفسق والفحش، والمتعلقين بأسئل أصنام الحضارة الغربية والفارقين في دعاوى الباطل من أمثال فلان وفلان، كيف يمكن لهذا العقل أن يكون حكماً على (النص) وهو غارق في أثامه؟ إن العقل مرأة لبيته، لا يستطيع أن يهدى إلا إليها، وهو كما وصفه الإمام الغزالى مصباح زيت الريح، فكيف يمكن للعقل أن يهدى إلى مفاهيم الإسلام وهو يعيش في بيته المادة والتجسم لا يستطيع أن يخلص منها إلى أفق رفيع. «وَاتَّلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي أَتَيْنَاهُ أَيَّاتِنَا فَانسَلَّغَ مِنْهَا فَاتَّبَعَ الشَّيْطَانَ فَكَانَ مِنَ الْفَارِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ

هواه فمثلك حمل الكتب إن تحمل عليه يلهمت أو تتركه يلهم ذلك مثل القوم الذين  
كذبوا بآياتنا فاقصصوا القصص لعلهم يتذكرون **»**.

ومن بعد الإمام الغزالى جاء الإمام ابن تيمية الذى رد منطق أرسسطو  
واليونان كله وزيقه وكشف فساده وقدم منطق القرآن فلم يعد هناك ثغرة ينفذ منها  
دعاة علم الأصنام.

إن قصة الفلسفة اليونانية مع الفكر الإسلامي كانت نكبة التكبات وبلية  
البلايا وما هم يعيونها جذعة ليفتحوا صفحاتها مرة أخرى من أجل إثارة الشبهات  
في العقل الإسلامي والوجдан الإسلامي بفتح باب هذه السفوم التي كفانا شرها  
الائمة الشافعى والغزالى وأبن تيمية وأبن القيم وغيرهم، وفي مقدمتهم الإمام ابن  
حنبل الذى صمد للمحنة سبعة عشر عاماً حين فتحت أبوابها فتنة خلق القرآن  
التي جاءت من الفلسفة اليونانية من القول بخلق التوراة.

نحن لا نريد أن نظلم أحداً، فاذب الإسلام يدعونا إلى الإنصاف، فنحن لا  
نرفض العلماء جملة ولكن نقبل منهم ونرفض، فما كان مما قالوه نافعاً وصالحاً ولا  
يتعارض مع الإسلام قبلناه، وما كان مخالفاً أعرضنا عنه وكشفنا أمره، فكيف  
يدير الباحث في إذاعة القرآن الكريم بحثه عن ابن رشد مرة ومرة دون أن يكشف  
للMuslim المستمع أن ابن رشد القاضي والفقير علامة كبير ولكن ابن رشد المشاه  
هو الذي ترجم أرسسطو وجند آرائه وأحيا تراثه فذلك لنا منه موقف آخر فنحن نعلم  
أن أرسسطو عارض مفهوم التوحيد حين وصف الله تبارك وتعالى بأنه المحرк الذي  
لا يتحرك وأنه قد خلق الكون وأدار له ظهره، وأنه لا يعلم الجنينات وأن الله تبارك  
وتعالى دحض ذلك كله في القرآن الكريم فقال: **«إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**  
**أَنْ تَرْوُلَا** **بِهِ** **قَالَ: «وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَدْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا»** ..

ونحن نعلم أن أرسسطو جند الرق ودعا إليه وقال باستحالة تحرير الإنسان من  
العبودية، وقال: إن الحضارة لا تقوم إلا على سادة في القيمة ويعبد في السفوح

وبما قال به قالته أديان بعد ذلك واعتنقت رأيه وقامت عليه حضارات اليونان والرومان والفرس والهنود والفراعنة حتى جاء الإسلام فحررها من، كل هذا كان يجب أن يقال عندما يعرض لابن رشد ..

لقد استطاع الشيخ مصطفى عبد الرزاق أن يواجه الحملة التي بدأها في أول هذا القرن الكونت دي جلازرا (أول من درس الفلسفة في الجامعة المصرية) حين اتهم المسلمين بأنهم ليست لهم فلسفة وأن الفلسفة العربية هي فلسفة يونانية مكتوبة باللغة العربية، فجاء مصطفى عبد الرزاق فكشف عن أن الفلسفة الإسلامية تبدأ بالإمام الشافعي والرسالة التي هي علم أصول الفقه. ومن ذلك اليوم سقطت الفلسفة المشائنية ودرجاتها الذين تحولوا إلى احتضان الفلسفة المادية الغربية وتوزعوا حولها فعنهم من تولى الوظيفة المنطقية ومنهم من تولى الماديات التاريخية .. ومنهم من تولى الوجودية ويقي من يحمي تراث ابن سينا ويجده، وتراث الفارابي وابن عربي وابن رشد في الأخير في محاولة للتمويه على الفكر الإسلامي الأصيل المستمد من التوحيد الخالص وفي مخاطرة لإثارة الشكوك والشبهات والسموم التي تشيرها هذه الفلسفات الضالة فنحن اليوم في حاجة إلى أن نحدد موقفنا من العلم ومن الفلسفة.

أما العلم فهو العلم التجاري الذي يجيء من داخل المعامل والأنابيب، أما الفلسفات فهي وجهات نظر بشرية تخطر وتصيب، وهي ردود أفعال مجتمعات بعينها، فلا تصح لأن تكون علمًا عاماً ينتفع به الجميع ولكن أمة فكرها ومفاهيمها وأسلوب بحثها وتقافتها المستمدة من عقيدتها.

إن الفلسفات هي الفكر البشري القائم على أهواء النفس البشرية وعلى الظن وعلى تحقيق المطامع وعلى صراع الأمم المستعلية باللون والعنصر .. على الأمم الملونة من أجل إدامة السيطرة عليها فعلينا أن تكون حذرين في قبول ما يعرض علينا في هذا الصدد وأن نعلم أن «المنطوقية الإسلامية» الجامعة قد قدمت لنا

منهج حياة كامل جامع في كل قضايا الفكر والمجتمع والحضارة وإن حاجتنا إلى الغرب تقتصر على التقنية وأن تستفيد من التنظيمات وأن ننقل كل ذلك إلى إطار فكرنا القرآني الإسلامي لنصبه في ونصوله من جديد وفق مفهوم التوحيد ..  
الخالص ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

\* \* \*

\* \*

\*

# آفاق البحث

## الصفحة

## الموضوع

٣	الإسلام
٨	القرآن
١٠	إسلام القرآن
١٥	الأديان
١٧	المعرفة الإسلامية
٢٢	النظام السياسي
٢٥	النفس والأخلاق
٢٧	العلم
٣٠	الإنسان
٣٣	النفس والروح
٣٥	وحدة الفكر الإسلامي
٣٧	العقل والوجودان
٣٨	الثقافة
٤١	التاريخ الإسلامي
٤٣	المجتمع
٤٥	الإسلام يرفض الجسم الغريب
٤٧	تربية الأجيال
٥١	تكامل القيم
٥٤	الترابط من العلم
٦٠	سبق المسلمين
٦٢	حقائق أساسية
٦٥	قوانين ثابتة
٦٨	خطأ القول
٧٠	النظرية الغربية الوافدة

٧٢	موقف الغرب من الإسلام
٧٤	تصحيح الطريق
٧٦	التوحيد الخالص
٧٩	العبودية لله
٨٣	مجموعة من الحقائق
٨٣	الأخوة
٨٣	منهج الحجاج الإسلامي
٨٥	حول السنة النبوية
٨٦	مفاهيم الفن
٨٧	اللغة
٨٨	ضوء على الصحوة
٩٠	الدخول في دين الله
٩٢	وأخيراً أفرقت بالخطأ
٩٤	محاولة فاشلة
٩٦	هذه أمّة اختارها الله
٩٨	العمل الحقيقي
١٠٠	الماضي والتاريخ
١٠٣	مؤامرات يجب أن تكشف
١٠٥	القرآن فوق النصوص
١٠٧	المنهج والتطبيق
١٠٩	منهج الله
١١١	لنا منهج مختلف
١١٤	نحن أساندة الغرب
١١٩	في مواجهة المزاجية
١٢٤	قضايا عالمية

١٣٣ .....	معركة حطين
١٢٨ .....	حضارة الغرب
١٤٤ .....	أسلمة العلم
١٤٩ .....	موائد الغرب
١٥٥ .....	الفلسفات القديمة